هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

العدد 183

ذو القعدة / ذو الحجة 1447هـ أيار / حزيران 2026م

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحـريـر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحـريـر

أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. صبحي محمد عبيد

د. محمد خليل جاد الله

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 - القدس / ص.ب : 1862 رام الله - تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

شـهادة مناســـــك الحـــج وشعائره على انفراج الأزمات	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

لبيك اللهم لبيك	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	16

مناسبة العدد

الحج مدرسة إيمانية في تزكية النفس	د. محمد خليل جاد الله	25
أثر الحج في تهذيب النفس وبناء القيم	أ. مهدي سليم	32
مدى إلزامية رأي الحاكم بتعليق شعيرة الأضحية	أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني	48

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديـــــار الفلـسـطينية	54

فهرس العدد

فقه

أحكام العدل في العطية وضوابط رجوع الوالدين فيها	أ. روان الشيخ	60

مواعظ وآداب

الخيبة ... أسبابها وطرق تجنبها	د. أحمد شوباش	68
الأسرة في الإسلام	أ. كمال بواطنة	75

تراث وتاريخ

الأسبلة العثمانية في القدس في إطار الوقف الإسلامي وسياج الهوية في مواجهة التهويد	د. شفاء عيسى أبو خليل	82
قرية "راس أبو عمار" المنكوبة والمهجرة	أ. يوسف عدوي	88

أدبيات

اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	101

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	104
مسابقة العدد 183	أسرة التحرير	112
إجابة مسابقة العدد 181	أسرة التحرير	113

افتتاحية العدد

شهادة مناسك الحج

وشعائره على انفراج الأزمات

الشيخ محمد حسين/ المشرف العام

الأزمات والشدائد وقعت في الماضي، وتقع في الحاضر، وسوف تقع في المستقبل، والأيام يداولها الله بين الناس، يوم لك وآخر عليك، ومن سره زمن ساءته أزمان، لكن مستويات الأزمات تختلف من حال لآخر، ومن أناس لآخرين، وتلحق الأزمات بالمسلمين وغيرهم، وبالصالحين والطالحين، وبمناسبة حلول موسم الحج وأداء مناسكه، في ظل الظروف العصيبة التي يعيشها المسلمون في كثير من بقاع الأرض، خاصة أهل فلسطين، قد يكون من المناسب التذكير بالفرج المستوحى من معين مدرسة الحج، والتقديم لذلك بذكر نماذج مما شهدت له الأخبار الموثقة لأزمات لحقها فرج، والطمأنة العامة بانفراج الأزمات، بناء على ما تظهره النصوص النظرية، والواقع العملي المعيش.

الابتلاء العام بالصعاب والمحن وإتباعه بالفرج والخيرات:

يخبر رب العالمين عن حتمية الأخذ بالبأساء والضراء، فيقول عز وجل:{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ}(الأعراف:94)

ويتبع سبحانه هذا الإخبار بآخر من نوع مختلف، ذلكم هو تبديل السيئة بالحسنة،

وفتح بركات السماء والأرض، فيقول تعالى: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}(الأعراف: 95 - 96)

وحيث إنه لا ملجأ من الله إلا إليه سبحانه، فلا مجال للأمن من مكر الله وبأسه إلا باللجوء إليه، جل في علاه، وهو القائل:{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} (الأعراف:97 - 99)

فالابتلاء بالمحن والصعاب والجراح من الغرابة أن يستهجن وقوعه، وإلى جانب هذا الاستغراب يلزم اليقين بنصر الله وعونه وفرجه، فالله على كل شيء قدير، وإذا أراد أمراً فإنما يقول له: كن، فيكون، وهو القائل جل ذكره: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(البقرة:117) {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(النحل:40)

نماذج لأزمات لحقها فرج مما شهدت له الأخبار الموثقة:

حفل القرآن الكريم، إلى جانب الواقع التاريخي والمعاش بذكر الأزمات المتبوعة بالفرج وانكشاف الغمة، التي من نماذجها البارزة:

يونس في بطن الحوت:

ابتلي الأنبياء في حياتهم الخاصة والدعوية، ومنهم نبي الله يونس، عليه السلام، الذي توج ابتلاؤه بالتقامه من قبل الحوت، حتى يسر الله له الفرج، بنبذه بالعراء،

وإنبات شجرة من يقطين عليه، حسب ما جاء في قوله تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ} (الصافات: 139 - 146)

إلقاء إبراهيم، عليه السلام، في النار، وصيرورتها عليه برداً وسلاماً:

بلغت ذروة الشدة بخليل الله إبراهيم، عليه السلام، أن ألقاه أعداء الله في النار ليحرق بها، فجاءه الفرج وهو في هذا الحال الصعب، بانقلاب خاصية النار إلى نقيضها، فبدلاً من أن تحرقه، صارت برداً وسلاماً عليه، بأمر الله ورعايته وعونه، وعن هذا الابتلاء وما تبعه من فرج يقول جل ذكره: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ} (الأنبياء:68 - 70)

فهذه نماذج لأزمات عظيمة صعبة لحقها فرج بيّن، بإذن الله وأمره ولطفه، تُذْكَر على سبيل المثال لا الحصر، لاستلهام العظات والعبر، خاصة للمبتلين بالمحن الشديدة، والأزمات العصيبة، عسى أن نجد فيها إضاءات تنير دروبنا، وتنقذنا من وحل الإحباط والخنوع، جراء ما نلقى من صعاب جمة.

الطمأنة بانفراج الأزمات تظهرها النصوص النظرية والوقائع العملية:

اشتدي أزمة تنفرجي، والله تعالى يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (الشرح: 5 - 6) ولا يغلب عسر يسرين، والإمام الشافعي يقول:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

والله أنزلَ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ يرَوْهَا، بعد أن أَعْجَبَتْهُمْ كَثْرَتُهُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنهُمْ شَيْئاً، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ وَلَّووا مُّدْبِرِينَ، هذا ما كان من فرج الله الذي لحق أزمة تعرضت لها الصفوة المؤمنة، يوم حنين، في عهد النبوة، وعن تلك الأزمة وما تبعها من فرج يخبر رب العالمين: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} (التوبة:25 - 26).

راجين أن ييسر الله لعباده المخلصين فرجاً وسكينةً كالتي أنزلها على رسوله وعلى المؤمنين يوم حنين، وما ذاك على الله بعزيز.

أرسل الله على المسلمين رِيحاً وَجُنُوداً لمْ يرَوْهَا، بعد أن زَاغَتْ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ:

يوم الأحزاب -الخندق- زاغت فيه الأبصار، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، بعد أن حوصر المسلمون في المدينة من الأحزاب والقبائل المعادية، وأنقذ الله المسلمين من هذا الكرب العظيم، ووصف سبحانه هذا الانقاذ بالنعمة التي فرج بها عن عباده، بعد أن جاءهم جُنُودٌ لا قبل لهم بها، وابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ بذلك، وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، فَأَرْسَل جلت عظمته لتفريج كرب عباده رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تُرَ، حتى كان الفرج الباهر، وعن هذا يخبر جل شأنه، فيقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ

فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} (الأحزاب:9 - 12)

انفراج أزمة الثلاثة الذين خُلِّفُوا:

تخلف عن غزوة تبوك -العسرة- منافقون ومؤمنون، وبعد الانصراف منها قَبِل الرسول، صلى الله عليه وسلم، من المنافقين أعذارهم، أما الثلاثة المؤمنون الذي لم تكن لهم أعذار تقبل، فصدقوا في إفادتهم، فعاقبهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، فأمر بمقاطعتهم، حتى ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت بسبب ما صار إليه حالهم، حتى جاءهم الفرج من الله، وتم العفو عنهم، وتاب الله عليهم، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وعن حادثة التخلف هذه، وما تبعها من شدة لحقت بالمؤمنين الثلاثة بعد أن عوقبوا بالمقاطعة بسبب ذنبهم الذي حصل منهم جراء تخلفهم عن المشاركة مع المؤمنين في الغزوة، وما كان بعد ذلك من توبة الله عليهم، وتفريج كربهم، يقول عز وجل: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (التوبة:118)

الله قريب، ورحمته قريبة من المحسنين، ونصره وفتحه قريبان:

أجاب الله جل في علاه عن سؤال بادر إلى طرحه بعض عباد الله بأنه قريب، فقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(البقرة:186)

وقرب الله من السائلين يبعث فيهم أملاً شديداً بقرب الإجابة، والله إضافة إلى ذلك قريب من المحسنين، حسب إخباره جل في علاه: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (الأعراف:55 - 57)

كما أنه سبحانه بشر عباده بنصره القريب، حسب ما نص عليه قوله عز وجل: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة:214) وقوله تعالى: {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (الصف:13)

وبشر - جلَّ في علاه- أصحاب بيعة الشجرة بالفتح القريب، مصداقاً لقوله جل ذكره: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (الفتح:18) وتكررت هذه البشرى في سورة الفتح نفسها في الآية السابعة والعشرين منها، حيث قال جل ذكره:{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا}(الفتح:27)

فالبشائر بقرب الله من عباده ونصره وفتحه، تعزز في النفوس المؤمنة الأمل بفرج الله، مهما اسود الظلام، وضاقت السبل، فلن يغيب عن وجدان المؤمنين أنهم على

موعد مع فرج الله القريب، الذي سيفرحون به كما فرح أسلافهم لانتصار الروم على الفرس، حسب ما هو ثابت في فاتحة سورة الروم والآيات الأولى منها، حيث يقول تعالى: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

(الروم:1 - 6)

الحج مدرسة إيمانية تربوية تحفز على اليقين بالفرج الذي به تنجلي الشدائد والأزمات:

يشهد الذي يؤدي الحج شدة في أداء بعض المناسك، تُذكره بأبعاد وخلفيات كثير منها، ثم يجد فرجاً يتبع كل شدة تواجهه، كما حصل أصلاً في أعقاب الخلاص من الشدائد التي صاحبت نشأة كثير من مناسك الحج وشعائره، ما يبعث على اليقين بالفرج الذي يعقب الأزمات، ويبشر بانفراج المحن والشدائد، مهما صعبت، ومن نماذج الأزمات التي تُتْبَع بفرج من الله، ما تُذَكر به مناسك الحج وشعائره الآتية:

الإحرام:

يُقَيِّدُ المحرم للحج والعمرة بالتزامات خارجة عن مألوفه، فالمحرم من الرجال يخلع المخيط من الثياب، ويمنع من الطيب، ويمنع وزوجه المحرمة للحج من المعاشرة الجنسية، ومن قص الشعر وتقليم الأظفار، ومن الصيد، وعند التحلل من الإحرام وفق الضوابط الشرعية، ترفع هذه القيود، ويعود للمباح من هذه المحظورات، فيحصل له بذلك فرج، يذكره وقيود الإحرام، حين يقارن بين حالي الشدة والفرج، والمستخلص

منه أن دوام الحال من المحال، وما النصر إلا صبر ساعة، وكذلك الشجاعة.

زمزم والسعي بين الصفا والمروة:

السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط ركن من أركان الحج والعمرة، يذكر بأزمة أُمنا هاجر، عليها السلام، وهي تبحث عن ماء لها ولطفلها إسماعيل، عليه السلام، وكيف أنعم الله عليهما بعد ذلك بفرج تاريخي، ينعم بخيره حجاج بيت الله الحرام وزواره طوال أيام العام، بل على مدار الزمان، ذلكم هو ماء زمزم، الذي يرتوي منه الحجاج، ويغتسلون، ويتطهرون، ويحملون في أوعيتهم وجالوناتهم إلى بلادهم وأهليهم، للتبرك.

إن الانفراج الذي تفضل الله به على هاجر وابنها، عليهما السلام، بعد أن ضاقت بهما السبل، كان انفراجاً نوعياً ممتد الأثر، ما زال المسلمون يقطفون ثماره منذ قرون مضت وما يزالون، وهو يحمل لهم في طياته بشرى تتمثل بقرب الفرج، مهما بلغت بهم المحن، فالله على كل شيء قدير، وهو بعظمته وجبروته قاهر الجبابرة والطغاة والظالمين، وينصر عباده الصالحين، ولو بعد حين، لكن المسألة يلزمها يقين كيقين هاجر، عليها السلام، التي عبرت عن عمق يقينها بفرج الله وعونه ومدده، لما سألت زوجها إبراهيم، عليه السلام، حين وضعها وابنها الرضيع في واد غير ذي زرع، وأراد تركهما فيه والسفر عنهما، فقالت له: (يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا،...".(*)

* صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه.

رمي الجمرات ترويض على الحذر من الشيطان والعمل على محاربته:

الشيطان عدو لدود للإنسان، حصل على إذن من الله بممارسة إغواء الناس، ومن ثم توعد بأن يقعد لعباد الله صراطهم المستقيم، وقد أخبر جل في علاه عن هذا الإذن وذاك التوعد، بآيات قرآنية رصدت حواراً دار بين الله عز وجل، وبين إبليس، فقال جل شأنه: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأعراف: 14 - 18) فإبليس عدو للناس، يأتيهم بإذن الله من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ، ليضلهم ويحرفهم عن الجادة، فعليهم أن يحذروه، وإلا سيشاركونه المصير نفسه {... لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} يوم يتبرأ المتبوع من التابع، {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} (البقرة:166) {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} (القصص:63) ويخبر الله عن تبرُّؤ إبليس يوم القيامة من أتباعه الذين سبق أن أضلهم في الدنيا واتبعوه، فيقول تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (إبراهيم: 22)

فإضلال الشيطان واسع وعريض ومتواصل، ينجو منه من رحمه الله ووقاه،

ورجم الحاج الجمرات في منى، على مدار يومين أو ثلاثة أيام التشريق، إضافة إلى رجم الجمرة الكبرى يوم النحر، يذكر بالعداء المستحكم بين المؤمنين وإبليس، ما يستدعي الحذر الدائم منه، حتى خلال أداء العبادات، وفي السكنات والحركات، خاصة أنه يجري في النفوس كما يجري الدم في العروق، حسب ما جاء في الحديث الصحيح، عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ).[1]

الهدي ورمزية الفداء:

تعرض إبراهيم، عليه السلام، لمحنة عصيبة، حين رأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، ورؤيا الأنبياء جزء من الوحي، فعن عُبَيْد بْن عُمَيْرٍ، يَقُولُ: (رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}) [الصافات: 102][2] وقد أخبر القرآن الكريم عن تفاصيل هذا الابتلاء والنجاة منه، فقال عز وجل: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} (الصافات: 101 - 111)

من هنا يُذَكِّرْ الهدي في الحج، والأضحية لغير الحاج، بالابتلاء وما تبعه من فرج تمثل بالفداء، والمبتليان بهذه المحنة الشديدة أب وابنه، وهما نبيان من أنبياء الله.

1. صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه.
2. صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ التَّخْفِيفِ فِي الوُضُوءِ.

مكافأة الحاج بالمغفرة:

أعظم نتائج الحج وثماره، على ما فيه من صعاب ومشاق، أن الله جل في علاه يكافئ الحاج بالمغفرة، مصداقاً لقوله، صلى الله عليه وسلم، الذي يرويه أَبو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).(*) فأي نعمة هي أبلغ من نعمة العفو الرباني، والفوز بالطهارة من الذنوب والخطايا؟! ومهما حاول المرء أن يتخيل قدر هذه النعمة، فلن يبلغ إدراك حقيقتها، {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (إبراهيم:48)

فاللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَة، فارحمنا كما رحمت أسلافنا المهاجرين والأنصار، والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واحشرنا معهم، يا رب العالمين، وحسن أولئك رفيقاً.

خاتمة:

فهذه وقفة تأملية في أبعاد شهادة مناسك الحج وشعائره على انفراج الأزمات، تم خلالها الوقوف للتأمل والاتعاظ عند الابتلاء العام بالصعاب والمحن، وإتباعه بالفرج والخيرات، وعرض نماذج لأزمات لحقها فرج مما شهدت له الأخبار الموثقة، منها: نموذج يونس في بطن الحوت، وإلقاء إبراهيم، عليه السلام، في النار، وصيرورتها عليه برداً وسلاماً، ونموذج الثلاثة رهط الذين سدت صخرة باب الغار الذي دخلوه، ثم أفرج عنهم، وأزمة الثلاثة الذين تخلفوا حتى جاءهم الفرج القريب، ورحمته سبحانه قريب من المحسنين، ونصره وفتحه قريبان، والطمأنة بانفراج الأزمات

* صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.

تظهرها النصوص النظرية والوقائع العملية، فقد أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنـزل جنودًا لم يروها، وعذب الذين كفروا، بعد أن أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ولوا مدبرين، وأرسل الله على المسلمين ريحاً وجنوداً لم يروها، بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.

ثم شُرِعَ باستخلاص عظات وعبر يستشف منها لحاق الفرج بالأزمات والمحن، مستنبطة من بعض مناسك الحج وشعائره، مستقاة من مدرسة الحج الإيمانية التربوية التي تحفز على اليقين بالفرج الذي به تنجلي الشدائد والأزمات، واقتصر الوقوف لهذه الغاية عند مناسك الإحرام، وزمزم، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرات، بما تحتويه من ترويض على الحذر من الشيطان والعمل على محاربته، والهدي، ورمزية الفداء، وختمت هذه الوقفة بثمرة الحج العظيمة المتمثلة بمكافأة الذي يحج حجاً مبروراً نقياً من الرفث والفسوق، بالمغفرة، ومحو الذنوب، عسى أن نكون ووالدينا وأهلينا والمؤمنين والمؤمنات منهم.

لبيك اللهم لبيك

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

أمر الله جل في علاه بالحج إلى بيته المحرم، فقال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ*لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (الحج:27 - 29)

وقال عز وجل: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}(آل عمران:97)

والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، حسب قوله، صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".(*)

وبناء على هذا فإن المسلم البالغ العاقل المستطيع مكلف بأداء فريضة الحج مرة واحدة في العمر.

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس».

إعلان الإحرام بالحج أو العمرة بالتلبية:

يستعد المسلم للشروع بالحج بالتوجه إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وقبل دخوله الميقات المكاني الحدودي الذي يفصله عنها، يغتسل ويتطهر، وعند الشروع بالإحرام يخلع الذكور المخيط من الملابس، ويرتدون الرداء والإزار، وتبقى النساء في ملابسهن الخاصة دون حاجة لارتداء ثياب خاصة بالإحرام، استعداداً للقيام بأول ركن من أركان الحج، وهو الإحرام، الذي يجب أن يُبدأ به خارج الميقات، للمقيمين خارج مكة، وهو في الحقيقة نية الحج أو العمرة، أو نيتهما معاً، وأول كلمة يتلفظ بها من يشرُع بالإحرام، هي: "لبيك" ضمن عبارة: "لبيك اللهم لبيك" حسب ما جاء في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ".(*)

معنى التلبية:

يبين ابن حجر العسقلاني أن "لبيك" لفظ مثنى عند سيبويه ومن تبعه، وقال يونس: هو اسم مفرد، وألفه إنما انقلبت ياء لاتصالها بالضمير؛ كَلَديٌّ وعليَّ، ورد بأنها قلبت ياء مع المظهر.

وعن الفراء: هو منصوب على المصدر، وأصله لبا لك، فثني على التأكيد؛ أي إلباباً بعد إلباب، وهذه التثنية ليست حقيقية، بل هي للتكثير أو المبالغة، ومعناه إجابة بعد إجابة، أو إجابة لازمة.

* صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التلبية.

وقال أهل اللغة: معنى "لبيك لبيك": إجابة بعد إجابة، من قولهم: ألب بالمكان، إذا أقام به، فكأنه قال: أنا مقيم على طاعتك وإرادتك.[1]

حكم التلبية:

يذكر القاضي عياض أن الفقهاء اختلفوا حول حكم التلبية في الحج أو العمرة، فهي عند أبي حنيفة واجبة، ومالك والشافعي لا يوجبانها.[2]

وأجمع العلماء على القول بهذه التلبية، واختلفوا في الزيادة عليها.[3] ولا يمنعُ الحاجُّ عن الأذكار كلها، وإن كان الفضلُ في الوظيفةِ الوقتية، وهي التَّلبية.[4]

بالتلبية يبدأ الإحرام القولي:

يقول الكشميري: واعلم أن الإحرامَ عندنا قوليٌّ وفعليٌّ. ونعني بالقوليَّ التلبية، فإذا لبَّ ناويًا، فقد أحرم، وبالفعلي أن يسوقَ الهدْي ناويًا، فعلم أن المرء لا يصير مُحرمًا بمجرد النية، ما لم يقترن معها قولٌ، أو فعل مخصوص بالحج. ثم لا يُشترط ذكر النسك أو النسكين في التلبية، بل كفى له النية. وصرَّح علي القاري أنّه يُستحب الوقوفُ في كلمات التلبية في أربعة مواضع: لبيك اللهم لبيك، لبّيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شريكَ لك.[5]

---

1. شرح صحيح البخاري - لابن بطال: 4 /222 - 223.
2. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: 4 /92.
3. شرح صحيح البخاري لابن بطال: 4 /223.
4. فيض الباري شرح البخاري: 4 /206.
5. فيض الباري شرح البخاري: 4 /205.

وقت التلبية ورفع الرجال الصوت بها باعتدال:

يبدأ وقت التلبية منذ الشروع بالإحرام، وتستمر طيلة أيام الحج، حتى يوم النحر، فتنتهي عند الجمهور بعد رمي جمرة العقبة الأولى.

ويستحب أن يكثر من التلبية، ويلبي عند اجتماع الرفاق، وفي كل صعود وهبوط، وفي أدبار الصلوات، وإقبال الليل والنهار؛ لأن في هذه المواضع ترتفع الأصوات ويكثر الضجيج.[1]

ومما يدل على وقت نهاية التلبية، حديثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رِدْفَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ عَرَفَةَ إِلَى المُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الفَضْلَ مِنَ المزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، قَالَ: فَكِلاَهُمَا قَالَ: "لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ".[2]

قال ابن القيم: ولهذا كان للتلبية موقع عند الله، وكلما أكثر العبد منها كان أحب إلى ربه، وأحظى عنده، فهو لا يملك نفسه أن يقول: لبيك لبيك. حتى ينقطع نفسه.[3]

وبالنسبة إلى رفع الصوت بالتلبية فيندب للرجال، وتقتصر المرأة على إسماع نفسها، فإن جهرت كره. ورفع صوت الرجال بها ينبغي أن يكون باعتدال، بحيث لا يتأذى ولا يؤذي، وإلا كره.[4] لحديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا، ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا،

1. كتاب الحج من المجموع: 1 /328
2. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الركوب والارتداف في الحج.
3. حاشية الروض المربع لابن قاسم: 6 /20
4. فيض القدير: 1 /96

فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ).[1]

يهل بعد وصوله الميقات:

عَنْ نَافِعٍ قَالَ: "كَانَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، إِذَا أَرَادَ الخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ ادَّهَنَ بِدُهْنٍ لَيْسَ لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، ثُمَّ يَأْتِي مَسْجِدَ ذِي الحُلَيْفَةِ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَرْكَبُ، وَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً أَحْرَمَ»، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَفْعَلُ".[2]

أفضل الحج العجّ والثجّ:

روى الترمذي في سننه عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُئِلَ: أَيُّ الحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «العَجُّ وَالثَّجُّ».[3]

قوله: "أي الحج؟" أي أعماله أو خصاله بعد أركانه، (أفضل) أي أكثر ثواباً.

قوله: "العجّ والثجّ" بتشديدهما، الأول رفع الصوت بالتلبية، والثاني سيلان دماء الهدي، وقيل دماء الأضاحي. قال الطيبي، رحمه الله: ويحتمل أن يكون السؤال عن نفس الحج، ويكون المراد ما فيه العجّ والثجّ، وقيل على هذا يراد بهما الاستيعاب؛ لأنه ذكر أوله الذي هو الإحرام، وآخره الذي هو التحلل بإراقة الدم، اقتصاراً بالمبدأ والمنتهى عن سائر الأفعال؛ أي الذي استوعب أعماله جميعها من الأركان والمندوبات.[4]

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير.
2. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الإهلال مستقبل القبلة.
3. سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، وصححه الألباني
4. تحفة الأحوذي: 3 /476

حكمة التلبية:

يذكر العيني أن الحكمة في مشروعية التلبية هي التنبيه على إكرام الله تعالى لعباده، بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منه، عز وجل.(*)

والتلبية تعبر عن معنى الانصياع والانقياد لأمر الله، فهو سبحانه أمر بالحج، والعبد المسلم لبى النداء، واستجاب للأمر، فقصد بيت الله الحرام ليحج البيت، وهو منصاع ليس للأمر بالحج فحسب، بل منقاد لتفاصيل هذا الأمر، فيؤدي الحج على الوجه المشروع، زماناً ومكاناً وأداء وكيفية، يخلع المخيط، يطوف سبعاً بالتحديد، ويسعى سبعاً كذلك، يبدأ من الصفا وينتهي بالمروة، ويقف في عرفة في التاسع من ذي الحجة، ويبيت في مزدلفة ليلة العاشر منه، وفي العاشر يرمي جمرة العقبة الكبرى فقط، وينحر الجزور أو يذبح الهدي، ويطوف بالبيت سبعاً طواف الإفاضة أو الزيارة- ثم يتحلل من إحرامه، فيحلق أو يقصر، ويلبس المخيط، وفي الحادي عشر من ذي الحجة يرمي الجمرات الثلاث؛ الصغرى والوسطى والكبرى، ويكرر مثل هذا الرمي في الثلاثة أيام التالية، إلا إذا تعجل فيكتفي باثنين منها، ثم يودع البيت بالطواف حول البيت سبعاً، والملاحظ أن الحاج خلال أدائه للحج يلتزم بهذه التفاصيل: الأركان منها والواجبات، على الوجه المشروع، معرباً بذلك عن انقياد مطلق لله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، ولا يلتفت لاجتهاداته الشخصية بالخصوص، فلا يقدم ولا يؤخر

* عمدة القاري: 14/ 298

إلا ضمن الإطار المشروع، ولا يمتنع عن تنفيذ أمر شرعه الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، ولا يستبدل طوافاً بسعي، ولا العكس، ولا يزيد ولا ينقص من عدد الأشواط السبعة، ولا يبدأ بالمروة في السعي، ولا ينتهي بالصفا، فالتلبية بالحج تعني هذا الانقياد المحكم الدقيق، لتعود المسلم أن ينصاع لله في أمور حياته كلها، كما انصاع في الحج، عملاً بقوله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}

(الأحزاب:36)

الطاعة المطلقة لله والرسول، صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى".[1]

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ".[2]

1. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
2. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التلبية مؤشر إيماني دال على التوحيد واستشعار النعمة، وحمد الله عليها:

إضافة إلى الطاعة المتمثلة بلفظ: "لبيك" الذي تُبدأ به التلبية، فإنها تتضمن الإقرار بالتوحيد، ونبذ الشرك "لا شريك لك، وإِنَّ (أَنَّ) الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ" يبين عطية سالم أنه بعد الشروع بالتلبية يعقب بما يشبه التعليل لنفي الشراكة عن الله، فيقول: (إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) فكأنه يقول: موجب التوحيد وعدم الشرك هو أن الحمد والنعمة لك، والحمد يكون لكمال الممدوح لذاته، قال الله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة:2)، و(رب العالمين) فيها التنصيص على أن النعم جميعها في العوالم جميعها هي لله، وهنا: تحمد الله لكمال ذاته، والحمد يتضمن الشكر على نعمه؛ لأن النعم جميعها لله، (إن الحمد) أي: الكمال الذاتي، (والنعمة): التي نعيش بها ونرجوها في الدنيا، أو في الآخرة، هي لله. إذاً: ما دام الكمال لله، فلا نعبد غيره، وما دامت النعمة كلها لله، فلا نطلب من غير الله شيئاً؛ بل نتوجه إلى الله بكليتنا، دون شراكة في ذلك.

والملك كله لله، إذاً الخير والشر لا يكونان إلا بقضاء الله وقدره، فلا تخشى في دنياك أحداً؛ لأن النعمة التي ترجوها عند الله، والشر الذي تتقيه وتخشاه لا يأتيك إلا بقضاء الله؛ فلا وجود لمن ترجوه أو تخشاه إلا الله، وبهذا تكون بداية الناسك تجديد العهد بربه، إيماناً وتصديقاً ورضاً، ويظهر شعار الحج بهذا النشيد المبارك: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)،

أي: في ذلك كله، فهذا هو معنى الإهلال.(*)

خاتمة:

بمناسبة توجه حجاج بيت الله الحرام إليه من كل فج عميق، لأداء مناسك الحج وشعائره، تعلق الكلام في هذا المقال بالتلبية، التي يبدأ الحاج أعمال حجه بها، عند قيامه بأداء الركن الأول من أركان الحج، وهو الإحرام، وتطرق الحديث بالخصوص لأمر الله جل في علاه بالحج إلى بيته المحرم، في ضوء ما جاء بالخصوص في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، خاصة حديث أركان الإسلام، وإعلان الإحرام بالحج أو العمرة بالتلبية، ومعنى التلبية، وحكمها، وأن بها يبدأ الإحرام القولي، وبداية وقتها ونهايته، ورفع الرجال الصوت بها باعتدال، وأن الإهلال يكون بعد وصول الحاج أو المعتمر الميقات، فيستقبل القبلة ويلبي، وأن أفضل الحج العجّ والثجّ، والعجّ هو رفع الصوت بالتلبية، وحكمة التلبية، ولزوم طاعة الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، والتلبية مؤشر إيماني دال على التوحيد واستشعار النعمة، وحمد الله عليها.

عسى أن ينفع الله القراء بهذا التذكير، على خطى المؤمنين حقاً الذين تنفعهم الذكرى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}(الذاريات:55)

* شرح بلوغ المرام: 6/ 166.

الحج مدرسة إيمانية في تزكية النفس

د. محمد خليل جاد الله / الوكيل المساعد - دار الإفتاء الفلسطينية

مقدمة:

يحتل الحج مكانة مركزية في البناء التعبدي للإسلام، ليس بوصفه فريضة زمنية تؤدى في أيام معدودة فحسب، بل باعتباره تجربة وجودية تعيد تشكيل علاقة الإنسان بخالقه وبذاته وبالعالم من حوله. فالحاج وهو يغادر وطنه، ويتخفف من مظاهر الحياة المعتادة، إنما يدخل في حالة من الانفصال الشعوري عن المألوف، ليتصل اتصالًا أعمق بعالم القيم والمعاني. ومن هنا، فإن النظر إلى الحج باعتباره مدرسة إيمانية لتزكية النفس ينسجم مع الرؤية المقاصدية للشريعة، التي تجعل من العبادات وسائل لإصلاح الإنسان وتكميل أخلاقه، لا مجرد طقوس شكلية[*]

وفي ظل التحديات المعاصرة التي يشهدها العالم الإسلامي، حيث تتزايد مظاهر الاضطراب القيمي والخلقي، تبرز الحاجة إلى إعادة قراءة العبادات الكبرى، وفي مقدمتها الحج، بوصفها أدوات تربوية فعالة قادرة على إعادة بناء الإنسان من الداخل، وترسيخ منظومة القيم في سلوكه اليومي.

* القرضاوي، 1992، ص 45.

مفهوم تزكية النفس في الفكر الإسلامي:

تُعد تزكية النفس من المفاهيم المحورية في الخطاب القرآني، حيث ارتبطت بالفلاح والنجاة، كما في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس: 9]، ولا يقتصر معنى التزكية على مجرد التطهير من الذنوب، بل يتجاوز ذلك إلى عملية تربوية مستمرة تهدف إلى تنمية الفضائل وترسيخها في النفس الإنسانية.

وقد تناول العلماء هذا المفهوم بعمق، حيث يرى الغزالي أن النفس الإنسانية تحمل في طياتها قابلية مزدوجة للخير والشر، وأن تزكيتها تقوم على مجاهدة أهوائها، وترويضها على الطاعة، حتى تبلغ مقام الاطمئنان[1]. وهذه المجاهدة ليست فعلًا عارضًا، بل هي مسار طويل يتطلب الصبر والمثابرة، ويستند إلى المعرفة الصحيحة بالله وبالنفس.

أما ابن تيمية فيربط التزكية بالاتباع الصحيح للوحي، مؤكدًا أن إصلاح النفس لا يتحقق إلا من خلال الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، وأن أي انحراف عن هذا المنهج يؤدي إلى خلل في البناء الإيماني[2]. ومن هذا المنطلق، فإن التزكية في الإسلام ليست مجرد تجربة روحية ذاتية، بل هي التزام منهجي ينضبط بأحكام الشريعة ومقاصدها.

تجليات التزكية في مناسك الحج:

إذا كانت التزكية مفهومًا نظريًا في بعض السياقات، فإنها في الحج تتحول إلى

1. الغزالي، 2005، 3/ 58.
2. ابن تيمية، 1995، ص 27.

ممارسة عملية حية، حيث تتجسد القيم الإيمانية في كل حركة من حركات الحاج، وفي كل شعيرة من شعائر المناسك.

فالإحرام، في دلالته العميقة، يمثل لحظة انعتاق من قيود المظاهر الاجتماعية، حيث يتخلى الحاج عن لباسه المعتاد، ويلبس لباسًا بسيطًا يوحد بين الغني والفقير، في مشهد يعكس حقيقة الإنسان المجردة من الزيف، وهذا التجرد لا يقتصر على المظهر، بل يمتد إلى السلوك، إذ يُطلب من الحاج أن يضبط لسانه وجوارحه، وأن يبتعد عن مظاهر الترف والجدال، مما يرسخ في نفسه معاني التواضع والانضباط[1].

أما الطواف والسعي، فهما تعبيران عن حركة دائمة في دائرة الطاعة، حيث يتحرك الحاج في نسق جماعي منظم، مستشعرًا معاني الانقياد والخضوع، وقد أشار ابن القيِّم إلى أن هذه الشعائر، رغم بساطتها الظاهرة، تحمل في طياتها معاني عميقة تتعلق بتحقيق العبودية الكاملة لله، والانفصال عن مركزية الذات[2].

ويبلغ هذا المسار التزكوي ذروته في الوقوف بعرفة، ذلك المشهد الذي تتلاشى فيه الفوارق، ويقف فيه الحاج مجردًا من كل شيء إلا من حاجته إلى رحمة الله، إن عرفة ليست مجرد محطة زمنية، بل هي لحظة وعي عميق بحقيقة الإنسان وضعفه، واستحضار لمعاني التوبة والرجاء، وقد وصفها بعض العلماء بأنها "ميدان التزكية الأعظم"، حيث تُغسل القلوب من أدرانها، وتُفتح أبواب الأمل أمام النفوس التائبة[3]

وفي رمي الجمرات، تتجسد فكرة الصراع مع الشر في صورة رمزية، حيث يُعلن

1. النووي، 1991، ص 112.
2. ابن القيم، 2003، ص 214.
3. القرضاوي، 1992، ص 78.

الحاج رفضه لوساوس الشيطان، ويجدد التزامه بطريق الاستقامة. وهذا الفعل، وإن بدا بسيطًا في ظاهره، فإنه يحمل دلالة عميقة على ضرورة الاستمرار في مجاهدة النفس بعد انتهاء الحج[1].

الأثر التربوي للحج في بناء السلوك:

لا تكتمل قيمة الحج إلا بما يتركه من أثر في سلوك الإنسان بعد عودته، إذ إن العبرة ليست في أداء المناسك فحسب، بل في قدرتها على إحداث تحول حقيقي في الشخصية. فالحاج الذي يعيش تجربة الانضباط الجماعي، ويتحمل مشاق السفر، ويتدرب على الصبر وضبط النفس، يُفترض أن يخرج من هذه التجربة أكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة.

إن من أبرز ما يرسخه الحج في نفس المسلم هو الشعور الدائم برقابة الله، حيث يتعلم الحاج أن يضبط سلوكه حتى في أدق التفاصيل، ما يعزز لديه ما يسميه الغزالي "مقام المراقبة"، وهو أساس كل سلوك أخلاقي سليم[2]. كما يسهم الحج في ترسيخ قيم التسامح والتعايش، حيث يلتقي المسلمون من مختلف الثقافات في إطار من الاحترام المتبادل.

ومن هنا، فإن الحج لا يُعد تجربة فردية فحسب، بل هو حدث اجتماعي يعيد تشكيل العلاقات الإنسانية على أساس من الأخوة والمساواة، ويُسهم في بناء مجتمع أكثر تماسكًا.

1. ابن كثير، 1999، ص 412.
2. الغزالي، 2005، ج4، ص 92.

الحج ومقاصد الشريعة في التزكية:

يندرج الحج ضمن منظومة العبادات التي تهدف إلى تحقيق مقاصد الشريعة، وعلى رأسها إصلاح الإنسان وتحقيق مصلحته في الدنيا والآخرة. وقد أكد الشاطبي أن العبادات ليست غايات في ذاتها، بل وسائل لتحقيق مقاصد أسمى، من أهمها تهذيب النفس، وتقويم السلوك[1].

وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى الحج بوصفه تجسيدًا عمليًا لمقصد التزكية، حيث يجمع بين البعد الروحي والبعد الاجتماعي، ويحقق نوعًا من التوازن بين الفرد والمجتمع، الحاج لا يزكي نفسه بمعزل عن الآخرين، بل في إطار جماعي يعزز قيم التعاون والتراحم.

شروط تحقيق التزكية في الحج:

إن تحقيق التزكية من خلال الحج لا يتم بصورة تلقائية، بل يتطلب وعيًا عميقًا بمقاصد هذه العبادة، واستعدادًا نفسيًا وروحيًا لتلقي آثارها، فالإخلاص في النية يُعد الأساس الذي تُبنى عليه سائر الأعمال، إذ لا قيمة لأي عمل يخلو من الصدق مع الله. كما أن العلم بأحكام الحج يُسهم في أداء المناسك على الوجه الصحيح، ويمنع الوقوع في الأخطاء التي قد تُفرغ العبادة من مضمونها[2]. ولا يقل عن ذلك أهمية استحضار المعاني الإيمانية لكل شعيرة، بحيث يتحول الأداء من مجرد حركات إلى تجربة روحية واعية.

---

1. الشاطبي، 1997، ج2، ص 8.
2. النووي، 1991، ص 45.

ويبقى التحدي الأكبر في استمرار أثر الحج بعد العودة، إذ إن التزكية الحقيقية تظهر في سلوك الإنسان في حياته اليومية، وفي قدرته على ترجمة ما اكتسبه من قيم إلى واقع عملي.

خاتمة:

في ضوء ما تقدّم، يتبين أن الحج ليس مجرد انتقال مكاني أو أداء طقوسي محدود بزمن معين، بل هو تجربة إيمانية شاملة تُعيد تشكيل وعي الإنسان بذاته وبخالقه وبالكون من حوله. فالحاج، وهو ينتقل بين المشاعر المقدسة، إنما يخوض رحلة داخلية موازية، تتجدد فيها معاني العبودية، وتُصقل فيها القيم، وتُهذّب فيها النفس من شوائبها. ومن هنا، فإن الحج يمثل في جوهره مشروعًا إصلاحيًا متكاملًا، يستهدف بناء الإنسان على أساس من التقوى والصدق والإخلاص.

إن الأثر الحقيقي للحج لا يُقاس بتمام أداء المناسك فحسب، بل بمدى انعكاس هذه التجربة على سلوك الحاج بعد عودته، إذ إن التحول الإيماني الذي يُفترض أن يعيشه الحاج ينبغي أن يترجم إلى ممارسات يومية، تتجلى في أخلاقه، وتعاملاته، ونظرته إلى الحياة. فالحج الناجح هو الذي يُحدث قطيعة مع أنماط السلوك السلبية، ويفتح أفقًا جديدًا لحياة قائمة على الانضباط القيمي والالتزام الأخلاقي.

كما أن الحج، بما يحمله من معاني الوحدة والمساواة، يقدّم نموذجًا حضاريًا فريدًا يمكن استثماره في تعزيز السلم المجتمعي، وترسيخ قيم التعايش والتكافل بين أفراد الأمة. وفي زمن تتكاثر فيه أسباب التفرقة، يظل الحج شاهدًا حيًا على إمكانية الاجتماع على كلمة سواء، وعلى قدرة الإسلام في بناء مجتمع إنساني متوازن.

وخلاصة القول، إن الحج مدرسة إيمانية متجددة، لا تنتهي بانتهاء أيامه، بل تبدأ آثارها الحقيقية بعد العودة، حين يواجه الإنسان اختبار التطبيق العملي لما اكتسبه من معانٍ وقيم. ومن هنا، فإن مسؤولية المؤسسات الدينية والتربوية تكمن في تعميق الوعي بهذه الأبعاد، وتحويل تجربة الحج من مجرد فريضة موسمية إلى منهج حياة دائم

المراجع :

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1995). مجموع الفتاوى. الرياض: مجمع الملك فهد.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (2003). زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1997). الموافقات. بيروت: دار المعرفة.
- الغزالي، أبو حامد. (2005). إحياء علوم الدين. بيروت: دار ابن حزم.
- القرضاوي، يوسف. (1992). العبادة في الإسلام. القاهرة: مكتبة وهبة.
- النووي، يحيى بن شرف. (1991). المجموع شرح المهذب. بيروت: دار الفكر

أثر الحج في تهذيب النفس وبناء القيم

أ. مهدي اسليم / باحث شرعي - دائرة الإفتاء / محافظة طوباس

ليس الحج رحلةً مكانيةً فحسب، ولا انتقالًا جسديًا من بلدٍ إلى بلد، وإنما هو في حقيقته رحلة تحولٍ عميقة، يُعاد فيها تشكيل الإنسان من الداخل قبل أن يطوي طريق العودة، فالحج فريضةٌ تُلامس جوهر الإنسان، وتُعيد ترتيب علاقته بربه، وبنفسه، وبالناس، وبالدنيا كلّها، فالحج عبادةٌ تتجاوز حدود الشعيرة إلى بناء الشخصية، وتتخطى إطار الزمن المحدود إلى أثرٍ ممتدٍّ في العمر كلّه، ومن هنا جاء التعبير القرآني الدقيق، حين لم يجعل الحج مجرد أداء شعائر، بل ربطه بالتقوى، فقال الله تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}.(البقرة: 197)

فجعل الزاد الحقيقي ليس ما يُحمل في الأسفار، بل ما يُزرع في القلوب، فالتقوى هي الغاية، والتحوّل الداخلي هو الثمرة، وأما الشعائر فهي الطريق التي توصلك إلى المبتغى.

وقد أكد الله سبحانه وتعالى أن مقصود الشعائر ليس ذاتها، وإنما ما تُثمره من تزكيةٍ داخلية، فقال: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ}(الحج: 37) ومن هنا، فإن الإشكال الحقيقي لا يتمثّل في كيفية أداء مناسك الحج، بقدر ما يكمن في أثر

الحج فينا، كيف يَدخل إلى أعماقنا، فيُعيد بناء وعينا، ويُصلح مسار حياتنا، ويُخرجنا من ضيق الأنانية إلى سعة العبودية، ومن التعلّق بالمظاهر إلى التمسّك بالمعاني؟

لقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يربط الحج بالتحوّل الجذري في الإنسان، لا بمجرد الأداء، حين قال: "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"(*)، وهذا التعبير النبوي العميق لا يتحدث عن مغفرة الذنوب فحسب، بل عن ولادةٍ جديدة، وعن إنسانٍ يُعاد تشكيله أخلاقيًا وروحيًا وسلوكيًا، لذلك اعتنى علماء الإسلام قديمًا وحديثًا، ببيان أسرار الحج ومقاصده التربوية، فلم ينظروا إليه على أنه أعمال متفرقة، بل رأوه منظومةً متكاملةً لتزكية النفس، وكسر الهوى، وتعويد الإنسان على النظام والصبر، والخضوع الكامل لله تعالى، فالإحرام ليس ثوبًا فحسب، والطواف ليس حركةً دورانية، والسعي ليس انتقالًا بين جبلين، والوقوف بعرفة ليس تجمعًا بشريًا هائلًا؛ وإنما كل ذلك لغة تربوية عميقة تخاطب القلب قبل الجوارح، وتُعيد صياغة الإنسان من الداخل قبل أن تُغيّر سلوكه في الخارج.

من هنا، يأتي هذا المقال ليقف مع الحج وقفةً تأمليةً تربوية، تتجاوز الوصف إلى المعنى، وتنتقل من الظاهر إلى الباطن، محاولةً الكشف عن الكيفية التي يُعاد بها تشكيل الإنسان في هذه الرحلة الإيمانية الفريدة، قبل أن يُغادر المكان، وقبل أن يطوي صفحة المناسك.

* صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.

الحج عبادة التحوّل لا عبادة الشكل:

من سنن الله في العبادات أن يجعل لها ظاهرًا تُؤدَّى به، وباطنًا تُقاس به، فلا ينفك أحدهما عن الآخر، وقد قرر القرآن هذا الأصل حين وجّه القلوب إلى حقيقة المقصود من العبادة، لا إلى مجرد صورتها، فقال تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}(هود:7)، ولم يقل: أكثر عملًا؛ لأن الإحسان يتعلّق بالنية والاتباع والأثر، ومن هنا، فإن الحج لا يُراد لذاته بوصفه حركةً جسديةً منظمة، وإنما يُراد بما يُحدِثه من تحوّل في باطن الإنسان، فلو استقام الظاهر مع فساد الباطن، لم تتحقق الحكمة، ولو صحّ الباطن، ولم ينعكس على السلوك، كان ذلك نقصًا في ثمرة العبادة.

وقد قرر النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا الأصل الكلي حين قال: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)[1]، وهذا الحديث كما قال العلماء ميزان العبادات كلّها، وبه يُفهم أن الحج لا يكون حجًا حقيقيًا إلا إذا صاحبه قصد الإصلاح والتزكية، لا مجرد إسقاط الفرض، ومن الخطأ أن يُفهم التحوّل المقصود في الحج على أنه تحوّل عاطفي مؤقّت، ينتهي بانتهاء المشاعر الروحية في المشاعر المقدسة؛ بل هو تحوّلٌ يُفترض أن يمتدّ أثره إلى ما بعد العودة، في طريقة التفكير، وفي سلم الأولويات، وفي أنماط السلوك اليومي، فالحج الناجح هو الذي يترك أثره في القرار، كما ترك أثره في الشعور.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، إلى هذا المعنى في غير موضع [2]،

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟
2. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، 13 /268.

حين قرر أن العبادات الشرعية تجمع بين العمل الظاهر والخضوع الباطن، وأن المقصود الأعظم منها هو صلاح القلب، لأن القلب إذا صلح صلحت الجوارح، وإذا فسد انعكس ذلك على العمل كله، فليست العبرة بكثرة الأفعال، وإنما بحضور القلب وحقيقة العبودية، قال رحمه الله: "وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة؛ فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً"[1]

وكذلك بيّن الإمام ابن القيم، رحمه الله، أن أسرار العبادات لا تُنال بمجرد أدائها، بل بفهم مقاصدها، وأن من أدّى العبادة بلا فقه لمعناها، كان كمن حمل جسدها وفاته روحها، وقد جعل الحج من أعظم العبادات التي تظهر فيها هذه القاعدة؛ لكثرة أعماله، وتنوع شعائره، وتتابع مواقفه التربوية. قال رحمه الله: "وَالله تَعَالَى أَمر عباده أَن يقومُوا بشرائع الْإِسْلَام على ظواهرهم وحقائق الْإِيمَان على بواطنهم وَلَا يقبل وَاحِدًا مِنْهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ ... فَكل إِسْلَام ظَاهر لَا ينفذ صَاحبه مِنْهُ إِلَى حَقِيقَة الْإِيمَان الْبَاطِنَة، فَلَيْسَ بِنَافِع حَتَّى يكون مَعَه شَيْء من الْإِيمَان الْبَاطِن وكل حَقِيقَة باطنة لَا يقوم صَاحبهَا بشرائع الْإِسْلَام الظَّاهِرَة لَا تَنْفَع، وَلَو كَانَت مَا كَانَت فَلَو تمزق الْقلب بالمحبة وَالْخَوْف وَلم يتعبد بِالْأَمر وَظَاهر الشَّرْع لم ينجّه ذَلِك من النَّار، كَمَا أَنه لَو قَامَ بظواهر الْإِسْلَام، وَلَيْسَ فِي بَاطِنه حَقِيقَة الْإِيمَان لم ينجّه من النَّار"[2]

ولهذا، جاءت النصوص في الحج مقرونة بضبط السلوك، لا بتعداد الأفعال؛ لأن

1. اقتضاء الصراط المستقيم، 1 /92.
2. كتاب الفوائد لابن القيم، 142.

التحوّل الأخلاقي هو العلامة الفارقة على صدق الامتثال، فالحج الذي لا يغيّر صاحبه، ولا يخفف حدّته، ولا يزكّي لسانه، ولا يضبط شهوته، هو حجٌّ أدّى صورته، ولم يبلغ غايته، ومن أدرك هذا المعنى، خرج من الحج وقد تغيّر، لا لأنه غادر المكان، بل لأنه عاد بقلبٍ آخر.

الإحرام؛ حين يسقط التمايز وتثبت العبودية:

يُشكّل الإحرام اللحظةَ الفاصلة في رحلة الحج، لا لأنه بداية المناسك فحسب، بل لأنه بداية التحوّل الداخلي، ففي هذه اللحظة لا يُطلب من الحاج أن يلبس ثوبًا جديدًا، بل أن يخلع ما اعتاده من هوياتٍ مصطنعة؛ بترك التفاضل الوهمي، والتميّز الشكلي، والتعريفات الاجتماعية التي طالما حجبت الإنسان عن حقيقته، فحين يتجرّد الحاج من لباسه المعتاد، ويتوحّد مع الملايين في زيٍّ واحد، تُسقط الشريعة عنه كلّ ما كان يمنحه شعور التفوّق أو الامتياز: فلا منصب، ولا مال، ولا لقب، ولا مظهر. الجميع سواء، واقفون على عتبة العبودية الخالصة، لا يُعرَّفون إلا بصفة واحدة: عبدٌ مقبل على ربّه، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى العام حين قرر قاعدة التفاضل الحقيقية، فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات: 13)، فهذه الآية تُسقط أشكال التفاضل الزائف كلها، وتؤسس لهوية واحدة معتبرة: هوية التقوى، وهي المعنى الذي يجسّده الإحرام عمليًا.

والإحرام يُعيد الإنسان إلى حقيقة ضعفه وافتقاره، وهو معنى قرآني متكرر، قال

تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}(فاطر: 15)، فالتجرّد من الزينة والتميّز ليس مقصودًا لذاته، وإنما ليُوقظ هذا الشعور بالفقر الوجودي إلى الله، وقد بيّن النبي ﷺ هذا المعنى في خطبة الوداع حين قال قولًا جامعًا في إسقاط الهويات الوهمية: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[1]، وهذا المعنى هو الذي يعيشه الحاج لحظة دخوله في الإحرام.

وعند الحديث عن محظورات الإحرام نرى أنها ليست قيودًا شكلية، بل تربية عملية على ضبط النفس، وكبح التعلّق باللذة والمظهر، وقد قرر القرآن هذا البعد السلوكي في سياق الحج بقوله تعالى:{فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}(البقرة: 197)، فالنهي هنا موجَّه إلى السلوك والأخلاق قبل الجوارح، ما يدل على أن المقصود بناء الإنسان من الداخل، وقد قرر هذا المعنى الشاطبي في كلامه عن مقاصد الشريعة، أن "الْمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ مِنْ وَضْعِ الشَّرِيعَةِ إِخْرَاجَ الْمُكَلَّفِ عَنْ دَاعِيَةِ هَوَاهُ، حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ اخْتِيَارًا، كَمَا هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ اضْطِرَارًا"[2]، وهذا المعنى يتجلّى بوضوح في الإحرام، حيث يُمنع الإنسان من أشياء مباحة في الأصل، تدريبًا له على الانقياد لا على الاعتراض، وعليه، فإن الإحرام ليس مجرد لباسٍ يُلبس، بل هوية تُخلع؛ هوية التفاضل، والاستعلاء، والتمايز المصطنع، ومن دخل الإحرام وقلبه ما زال متشبثًا

1. مسند أحمد، أحاديث رجال من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، حديث رجل من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، قال الأرنؤوط إسناده صحيح.
2. الموافقات 89 .

بهذه الهويات، فقد دخل في صورة النسك، ولم يدخل في حقيقته، فالإحرام لحظة صادقة يقف فيها الإنسان أمام نفسه بلا زينة، وبلا ألقاب، وبلا امتيازات، ليُدرك أن أعظم ما يحمله إلى الله ليس ما يُرى عليه، بل ما استقر في قلبه، ومن هنا تبدأ رحلة الحج الحقيقية: حين يخلع الإنسان ما ليس منه، ليعود إلى ما خُلق له.

الطواف؛ حين يعود القلب إلى مركزه:

يُمثّل الطواف قلبَ شعائر الحج، وأبرز مظاهرها، لا من حيث الحركة الظاهرة فحسب، بل من حيث الدلالة العميقة التي يحملها، فالطواف ليس دورانًا عفويًا حول بناءٍ مادي، بل هو دوران الجسد ليعود القلب إلى مركزه الحقيقي، حيث تنتظم الحركة، وتتوحّد الوجهة، ويُعاد توجيه القلب إلى محوره الحقيقي. قال تعالى: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}(الحج: 29).

وقد أشار القرآن الكريم إلى شرف هذا البيت ومركزيته في العبادة، فقال تعالى:{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}(آل عمران: 96)، فالبيت الحرام ليس معلمًا تاريخيًا، بل مركز هداية، ومنطلق توجيه للقلوب والأفعال، ومن هنا كان الطواف حوله إعلانًا عمليًا عن توحيد الوجهة، كما أن اختيار الكعبة مركزًا للطواف دون سواها يرسّخ معنى التوحيد الخالص، ويقطع الطريق على كل أشكال التقديس البشري أو الرمزي، قال تعالى:{وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } (الحج: 26)، فَذِكر الطائفين في مقدمة العابدين يدل على علو شأن هذه الشعيرة، وارتباطها الوثيق بنقاء القصد، وصفاء العبادة.

وفي الطواف، يتحرك الجسد، لكن المقصود أن يستقر القلب، فبينما تدور الأقدام حول البيت، يُفترض أن يتوقّف القلب عن الدوران حول الشهوات والمصالح والأهواء، ليعود إلى مركزه الطبيعي: العبودية لله وحده، وقد قرر النبي ﷺ هذا الأصل الكلي حين قال : (أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ)[1]. فالطواف الحقيقي هو طواف القلب قبل طواف البدن.

وكما قال الإمام الغزالي عند حديثه عن أسرار الحج: "وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة، فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ... واعلم أنك بالطواف متشبه بِالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ الْحَافِّينَ حَوْلَ الْعَرْشِ، الطَّائِفِينَ حَوْلَهُ، ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت، حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه، ولا تختم إلا به، كما تبتدىء الطواف من البيت، وتختم بالبيت" [2].

ومن المعاني اللافتة في الطواف أنه يبدأ وينتهي عند الحجر الأسود، وكأن الشريعة تربط بين البداية والنهاية بمركز واحد، لتعلّم الإنسان أن الاستقامة ليست في تعدد المسارات، بل في الرجوع الدائم إلى الأصل، وقد كان النبي ﷺ يستلم الحجر ويقبّله تعظيمًا لأمر الله، لا لذات الحجر، كما قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: "إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ وأنك لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبَّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ"[3]، وهذا الأثر يرسّخ أن الطواف تعبدٌ محض، يُقصد به

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه.
2. إحياء علوم الدين، 1 /269.
3. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف.

الامتثال لا التعلّق بالماديات.

وعليه؛ فإن الطواف يُعيد ضبط بوصلة الإنسان، ويُعلّمه أن الحياة إذا لم يكن الله في مركزها، اضطربت أطرافها، وإذا استقرّ الله في القلب، انتظم كل شيء من حوله، فالطائف الحقيقي هو من خرج من طوافه وقد عاد قلبه إلى موضعه الصحيح، بعد أن تاه طويلًا في هوامش الحياة.

السعي... تربية على الأخذ بالأسباب مع كمال التوكل:

يأتي السعي بين الصفا والمروة ليؤكّد أحد الأصول الكبرى في التصوّر الإسلامي: أن التوكّل الحق لا يناقض العمل، وأن الاعتماد على الله لا يُغني عن بذل الجهد، فهذه الشعيرة لا تُقدَّم بوصفها حركةً انتقالية بين موضعين، بل باعتبارها درسًا عمليًا متكررًا يُرسِّخ في النفس الجمعَ بين السبب والمسبِّب، وبين حركة الإنسان وتسليم القلب، وقد قرر القرآن هذا الأصل بوضوح حين قال تعالى:{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}(آل عمران: 159)، فقدّم العزم وهو فعلٌ وإرادةٌ وأخذٌ بالأسباب، ثم أتبعَه بالتوكّل، ليبيّن أن كمال الاعتماد على الله إنما يكون بعد استفراغ الوسع لا قبله، كما قرن سبحانه السعي الإنساني بالجزاء، فقال: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}(النجم: 39)،وهي قاعدة قرآنية كبرى تُبرز قيمة الجهد والعمل، وتؤكد أن النتائج مرتبطة بحركة الإنسان، وإن كانت بتقدير الله وتوفيقه.

ومن هنا، جاء السعي في الحج إحياءً لقصة أمٍّ مؤمنةٍ بذلت غاية ما تستطيع في ظرفٍ قاسٍ، فلم تجلس تنتظر الفرج دون حركة، ولم تعتمد على السبب دون

يقين، بل سعت بقلبٍ متوكّل وجسدٍ عامل، فجعل الله من فعلها عبادةً متكررة، لا تخليدًا للحدث التاريخي فحسب، بل ترسيخًا للمنهج التربوي، وقد قرر النبي ﷺ هذا المعنى الجامع في توجيهه المشهور: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ"[1]، فالحديث يجمع بين السعي الإيجابي، وطلب العون من الله، والنهي عن الاستسلام، وهي أركان ثلاثة تُجسِّد حقيقة التوكّل الصحيح، كما بيّن ﷺ خطأ الفهم القاصر للتوكّل، حين قال للرجل الذي ترك ناقته بلا ربط: "اعقِلْها وتوكَّلْ"[2]، فدلّ ذلك على أن ترك الأسباب ليس من التوكّل في شيء، بل هو تواكل يُخالف الهدي النبوي.

وفي هذا السياق، يصبح السعي درسًا عمليًا في الانضباط النفسي؛ إذ يعلّم الإنسان أن الجهد قد يتكرر دون أن تظهر نتيجته فورًا، ومع ذلك لا يُترك؛ لأن المطلوب هو الامتثال، لا التحكم في النتائج. وهذا المعنى يحرّر الإنسان من القلق المرضي، ويُرسِّخ الطمأنينة القائمة على الثقة بحكمة الله، وعليه؛ فإن السعي ليس مجرد شعيرة حركية، بل منهج حياة؛ يُعلّم المسلم أن يعمل وكأن الأمر بيده، ويتوكّل وكأن الأمر كله بيد الله، فإذا استقرّ هذا المعنى في القلب، استقامت حركة الإنسان في الدنيا، فلم ييأس عند تعثّر، ولم يغترّ عند نجاح، لأنه أدرك موقعه الحقيقي بين السبب والقدر.

عرفة... ذروة إعادة التشكيل:

يُعدُّ يوم عرفة من أعظم لحظات الحج وأكثرها أثرًا في التحوّل الإيماني والتربوي،

1. صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.
2. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول، الله صلى الله عليه وسلم، باب منه، حسنه الألباني.

فهو ليس يومًا عابرًا في التقويم السنوي، بل لحظة تصالح الإنسان مع ذاته ومع ربه، ومنطلقًا محوريًا في رحلة الحج نحو القُرب الروحي والتحوّل الداخلي العميق، وقد بيّن القرآن الكريم قدْر هذا اليوم في مواضع متعددة حين أشير إليه بالأيام المعلومات، قال تعالى في سياق ذلك: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} (الحج: 28)، في إشارة إلى مكانة هذا اليوم وخصوصيته التي تستدعي وقوفًا لا يتعلّق بالجسد وحده، بل بالقلب والوجدان. وقد حدّد النبي ﷺ جوهر موقف عرفة بقوله: (الْحَجُّ عَرَفَةُ)[1]، وهو ما يعني أن الوقوف في هذا اليوم هو جوهر الحج بأسره؛ أي أن اجتياز أيام الحج الظاهرة لا يُقاس بفعاليات موسمية، بل بتحوّلٍ حقيقي في دواخل الحاج، فالحج كما بيّن أهل العلم قضية قلب قبل أن تكون مسألة جسد، فقيام الإنسان في عرفة مع الله هو انكشاف للقلب، وحديثٌ عميق بين العبد وربّه، إذ يخلو فيه بنوازع النفس وصرخات الندم والتضرّع إلى ربّ الرحمة، وأجساد المؤمنين جاثية على الركب لا في الشكل وحده، بل في واقع الانقياد الكامل لله سبحانه وتعالى.

وقد بيّن النبي ﷺ فضل هذا اليوم وقيمته في قوله: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟)[2]، قال الحافظ ابن عبد البرّ: "وهذا يدلّ على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران".[3]

1. سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، صححه الألباني.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة .
3. التمهيد، لابن عبد البر، 1 /120.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "فيعتق الله تعالى من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين؛ فلذلك صار اليوم الذي يليه عيداً لجميع المسلمين في جميع أمصارهم، من شهد الموسم منهم، ومن لم يشهده؛ لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة"[1]، فربط هذا اليوم بباب المغفرة والرحمة والعتق من أصفى صور العبودية، فالاعتراف بالضعف أمام الله، والاعتذار عن الزلل، والعودة إلى بداية الصراط المستقيم، فكل دعاءٍ يُرفع، وكل ذنب يُقرّ به القلب، وكل نية صادقة تُصقل في هذا اليوم، تجعل من الوقوف عند عرفات مشهدًا حيًّا لإعادة البناء النفسي والروحي.

ومن جميل ما روي في فضل هذا اليوم العظيم ما ورد عن عبد الله بن المبارك أنه قال: "جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تَهْمُلان فبكيت، فالتفت إليَّ فقال: ما شأنك؟ فقلت: مَنْ أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أنَّ الله عز وجل لا يغفر لهم".[2]

ولا يُفهم من هذا أن عرفة تُختزل في لحظة واحدة من الخشوع، بل هي عملية تحولٍ روحي يمتد أثرها بعد الوقوف نفسه، ففيها يخرج الحاج من دائرة الانشغال بمظهره أو مكانه إلى حقيقة التوجّه الحقيقي لله، فتتبدّل أولوياته، وتُرَتَّب قيَمه، ويكون قلبه بعدها أقرب إلى ما كان ينبغي أن يكون طوال حياته. ومن هنا، فإن سمة يوم عرفة لا تُقاس بزمانه ولا بمكانه، بل بـما يُحدِثه في النفوس من ارتقاءٍ نحو الخضوع لله، ووعيٍ

1. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، الحافظ ابن رجب الحنبلي، ص:276.
2. حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا، ص92.

بأهمية العبودية الصادقة، وصقلٍ للأخلاق، وثباتٍ على الطاعة، فيُصبح هذا اليوم ذروةً في إعادة تشكيل الإنسان قبل أن يغادر المكان، فتتغيّر رؤيته للحياة، وتُستعاد حقائق الإيمان في داخله.

منى ورمي الجمار... إعلان القطيعة مع الهوى:

تُمثّل مِنى ورمي الجمار إحدى أعمق محطات الحج في بعدها التربوي والروحي، إذ تنتقل العبادة فيها من مقام التزكية الداخلية إلى مقام المواجهة العملية مع الهوى، فالحاج الذي خرج من عرفة وقد انكسر قلبه بين يدي الله، وأعاد ترتيب علاقته بربه، يأتي إلى منى ليُترجم ذلك التحوّل إلى موقفٍ عمليٍّ صريح، يعلن فيه القطيعة مع كل ما يُزاحم أمر الله في قلبه وسلوكه، ومن هنا جاء رمي الجمار رمزًا تعبديًا بالغ الدلالة، لا يقف عند حدود الحركة الجسدية، بل يتجاوزها إلى معنى الانقياد التام، ورفض الاستسلام لدوافع النفس وشهواتها.

وقد قرّر القرآن الكريم هذا الأصل التربوي في مواضع متعددة، حين جعل اتباع الهوى في مقابل الهداية، فقال تعالى:{وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (ص: 26)، وقال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}(الجاثية: 23)، فبيّن أن أعظم صور الانحراف أن يتحوّل الهوى إلى مرجعيةٍ حاكمة، تُوجّه القرار والسلوك، ومن هذا المنطلق تأتي شعيرة رمي الجمار بوصفها موقفًا عمليًا متكرّرًا يُدرِّب النفس على مقاومة هذا الهوى، وإعلان العصيان له باسم الطاعة لله.

وفي السنة النبوية، ثبت أن النبي ﷺ رمى الجمار، وكان: (يَرْمِي الْجَمْرَةَ، إِذَا زَالَتِ

الشَّمْسُ، كُلُّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَيَقِفُ عِنْدَ الْأُولَى، وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ، وَيَتَضَرَّعُ، ويرمي الثالثة ولا يقف عندها)[1]، وهذا الحديث يُخرج رمي الجمار من كونه فعلًا شكليًا إلى كونه عبادة مقصودة المعنى، غايتها إحياء ذكر الله في لحظة الصراع مع النفس، حيث يقدّم العبد أمر ربه على ميله وهواه.

وقد فَهِم العلماء هذا البعد بعمق، فبيّنوا أن رمي الجمار ليس المقصود منه إصابة حجرٍ أو موضع، وإنما امتثال الأمر الإلهي، وإظهار العبودية المحضة، ذكر الإمام الغزالي عن رمي الجمار – في حديثه عن أسرار الحج – قائلا: "وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر، إظهاراً للرق والعبودية، وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ... واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة، وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان، وتقصم به ظهره، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى، تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه"[2]

وقد أكد العلماء كثيراً على ترسيخ مبدأ التسليم لأوامر الله والانقياد له والإذعان لأوامره، وان خالف ذلك رغبة الإنسان وهواه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: "سعادة العبد في كمال افتقاره إلى ربه، واحتياجه إليه، أي: في أن يشهد ذلك، ويعرفه، ويتصف معه بموجب ذلك، من الذل، والخضوع، والخشوع، وإلا فالخلق كلهم محتاجون، لكن يظن أحدهم نوع استغناء، فيطغى، كما قال تعالى: {كَلَّا إِنَّ

1. سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب في رمي الجمار، وصححه الألباني .
2.كتاب إحياء علوم الدين، 1 /270.

الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}"(العلق: 6 - 7) [1]، وفي المعنى ذاته يقول ابن القيم، رحمه الله: "والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: "طريق معبَّد" أي: مذلَّل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببتَه ولم تكن خاضعاً له: لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة: لم تكن عابداً له، حتى تكون محبّاً خاضعاً"[2].

وقال الإمام ابن حبان، رحمه الله تعالى: "من أراد الثواب الجزيل واسترهان الود الأصيل، وتوقع الذكر الجميل؛ فليتحمّل من ورود ثقل الردى؛ ويتجرع مرارة مخالفة الهوى، باستعمال السنة"[3]

ومن هذا المنظور، فإن مِنى ليست مجرد مبيتٍ مكاني، بل هي ساحة تربوية لتثبيت نتائج التحوّل الذي بدأ في عرفة؛ ففيها يتكرّر الرمي، ويتجدّد الإعلان، وكأن الحاج يُجدّد العهد في كل مرة: أن لا عودة إلى سلطان الهوى، ولا خضوع لدوافع النفس إذا تعارضت مع أمر الله. وهكذا يتّضح أن رمي الجمار ليس طقسًا رمزيًا فارغًا، بل هو بيان عملي بأن طريق الاستقامة لا يكتمل دون موقفٍ حازم من الهوى، وأن الإيمان الصادق لا يثبت إلا حين يتحوّل إلى مقاومة واعية، واختيارٍ يوميٍّ للطاعة على حساب الرغبة، وبهذا المعنى، تُتوّج منى مسار الحج التربوي؛ فبعد المعرفة في عرفة، والتوحيد في الطواف، والسعي في مجاهدة الأسباب، تأتي منى لتعلن النتيجة النهائية: الانفصال

1. مجموع الفتاوى، 1 / 50.
2. مدارج السالكين، 1 / 74.
3. روضة العقلاء، 1 /167.

الواعي عن الهوى، والارتباط الثابت بأمر الله، لتغدو هذه الشعيرة درسًا دائمًا يمتد أثره في حياة المسلم، بعد أن يغادر المكان، ويبقى المعنى.

ختامًا، ليس الحجُّ ذكرى تُعلَّق على الجدران، ولا لقبًا يُضاف إلى الأسماء، بل هو مشروعٌ ربّاني لإعادة تشكيل الإنسان، فمن عاد من الحج ولم يتغيّر، فقد ارتحل بجسده وبقي قلبه حيث كان، فمناسك الحج المتتابعة ليست أفعالًا متفرقة، بل بناءً تربوياً متكاملاً، يبدأ بالتجرّد، ويمرّ بتوحيد الوجهة والسعي الواعي، ويبلغ ذروته في عرفة، ثم يُتوَّج في منى بإعلان القطيعة مع الهوى والانقياد لأمر الله، فإذا أثمرت هذه المناسك وعيًا حيًّا، وانضباطًا داخليًا، وسلوكًا مستقيمًا، تحقق معنى الحج الذي أراده الله لعباده، لا صورةً تُؤدَّى ثم تُنسى، ومن هنا يُفهم قول النبي ﷺ: "وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ"(*)، إذ المبرور هو ما ترك أثره في النفس، وعدّل الاتجاه، وثبّت القيم، فغدا جسرًا واصلًا بين العبادة والسلوك، وبين الشعيرة والحياة، وبذلك يغادر الحاج المكان، لكنه لا يغادر المعنى، ويعود إلى دنياه وقد حمل قلبًا أنقى، وإرادةً أصلب، وعهدًا متجدّدًا مع الله أن تبقى الحياة كلّها امتدادًا لتلك الوقفة الصادقة.

* صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها.

مدى إلزامية رأي الحاكم بتعليق شعيرة الأضحية

أ.د جمال أحمد زيد الكيلاني / عميد كلية الشريعة / جامعة النجاح الوطنية
عضو مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين

الأضحية اسم لما يذبح من بهيمة الأنعام في يوم النحر وأيام التشريق، بنية إحياء سنة أبينا إبراهيم، عليه السلام، تقرباً إلى الله عز وجل، وأجمع علماء الأمة الإسلامية على مشروعيتها لقوله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (الكوثر:2) كما أخرج البخاري في صحيحه عن أنس، رضي الله عنه، قال: (ضَحَّى رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، قَالَ: وَرَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ، وَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا، قَالَ: وَسَمَّى وَكَبَّرَ).(*)

وهي شعيرة من شعائر الإسلام العظيمة تتجلى فيها معاني الصدقة بتوزيع لحوم الأضاحي على الفقراء، وتقوى الله عز وجل، كما في قوله: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ}(الحج:37)، وسميت أضحيةٌ نسبة إلى بداية وقت الذبح، وهو الضحى.

واختلف العلماء في حكمها على قولين:

القول الأول: إنها واجبةٌ، وذهب إلى هذا القول أبو حنيفة النعمان ورواية عن الإمام أحمد وقولٌ عند المالكية، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وحجتهم في ذلك:

* صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية، وذبحها مباشرة بلا توكيل، والتسمية والتكبير.

- قوله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (الكوثر:2) في الآية الكريمة دلالة على وجوب النحر وهو الأضحية.

القول الثاني: الأضحية سنة مؤكدة، وذهب إلى هذا القول جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة، وحجتهم في ذلك ما يأتي:

- فِعلهُ، صلى الله عليه وسلم، في عيد الأضحى، فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (ضَحَّى رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، .... وَسَمَّى وَكَبَّرَ)[1]، وعند أبي داود زيادة، وفيها أنه قال صلى الله عليه وسلم: (بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا عَنِّي، وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي)[2]، وفي الحديث دلالة على جواز الفعل والترك للأضحية، وفي حال تركها؛ فإنه قد نال أجر الأضحية من أضحيته، عليه الصلاة والسلام.

وبالنظر في قول الفريقين، وما استندا إليه من حجة، وأدلة شرعية أرى أن على القادر المالك لثمن الأضحية أن يقوم بإحياء النسك بالذبح، ويكره له التخلف عن ذلك، ومن لم يستطع فليس عليه شيء.

منع الحاكم شعيرة الأضحية إعمالاً للمصلحة بسبب الفقر والقحط وغلاء الأسعار:

إذا أصدر الحاكم المسلم قراراً يمنع فيه القيام بشعيرة الأضحية بسبب القحط أو الفقر وغلاء أسعار الأنعام، وعدم القدرة على شرائها؛ لارتفاع ثمنها، وحرصاً على الحفاظ على الثروة الحيوانية في البلد اختلف العلماء المعاصرون في مدى إلزامية رأي الحاكم للأمة وطاعته في ذلك على قولين:

1. صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية، وذبحها مباشرة بلا توكيل، والتسمية والتكبير.
2. سنن أبي داود، كتاب الضحايا، باب في الشاة يضحى بها عن جماعة، وصححه الألباني.

القول الأول:

ذهب جماعة من العلماء إلى وجوب طاعة ولي الأمر في ذلك شرط أن يستند قراره إلى مصلحة عامة تعود بالنفع العام على أفراد المجتمع، ومورد المواشي وكيفية تنظيمه خوفاً عليه من التلاشي والنفوق.

وينبغي عندئذ لأفراد الأمة الالتزام بقوله، وهذا يدخل في باب السياسة الشرعية ورعاية مصالح الناس في تنظيم شؤونها والقاعدة الشرعية في ذلك تقول: "تصرف الإمام منوط على الرعية بالمصلحة"[1] ويمكن الاستعاضة عن ذبح النسك، وتوزيع اللحوم على الفقراء بالتصدق، وفعل الخيرات المختلفة.

- وأما إذا كان قراره مجرد توصية غير ملزمة فيجوز عندئذ ذبح الأضحية لمن استطاع ذلك.

- إن ذبح الأضاحي مع وجود الفقر والقحط وغلاء الأسعار يضر بشكل كبير بالثروة الحيوانية، والقاعدة الشرعية في ذلك، قوله، صلى الله عليه وسلم: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)[2] لذلك نرى أن سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في عام الرمادة[3] -المجاعة والقحط- لم يُقِم الحدود على الناس درءاً لها بشبهة الفقر والجوع، فعلّق أحكام الحدود حفاظاً على المصلحة ورعاية لشؤون العامة. كما أصدر قراراً بتأخير دفع الزكاة على من تجب عليه على أن يتم تحصيلها منهم لاحقاً بعد انتهاء الظرف

1. الأشباه والنظائر السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، 1/ 122.
2. سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، وقال الألباني: صحيح لغيره.
3. تسمية لسنة قحط وجدب وجوع أصابت المدينة المنورة وما حولها زمن خلافة عمر بن الخطاب، تؤرخ هذه الفترة برجوع النّاس من الحج سنة 18هـ وحتى تسعة أشهر، فيه صارت الأرض كلّها سوداء، فشبّهت بالرماد، وفي ذلك تعليل التسمية بعام الرمادة.

الاقتصادي السائد في البلاد، وانتقاله إلى حالة اليسر. ثم قام بتوجيه الناس نحو العمل الإغاثي والتكافل بين أبناء المجتمع، جبراً للضرر الواقع عليهم، ورفعاً للحرج والمشقة النازلة بهم.

القول الثاني:

لا يجوز تعطيل ذبح الأضاحي يوم النحر وأيام التشريق ومنع شعيرة من شعائر الإسلام، ولو كان ذلك القرار من الحاكم أو ولي الأمر، وذلك لما يأتي:

- إن حكم الأضحية هو سنةٌ مؤكدة، والسنة المؤكدة عند جمهور الفقهاء غير واجبة التطبيق على عموم المسلمين، ويمكن تنفيذها من المسلم القادر على الذبح، وبذلك يتم إحياء سنة العيد وشعيرة الأضحى ولو بأقل الذبح دون الإضرار بالحالة الاقتصادية وتعليق العمل بشعيرة الأضاحي.

- إن منع شعيرة الأضاحي فيها إثم ومعصية وما ذكر من غلاء الأسعار وحالة الفقر عند الناس لا يصلح سنداً وحجةً لمنع إقامة الشعيرة؛ لأنها غير واجبة الحكم بل مستحبة من القادر، والحالة المذكورة للمنع -من غلاء الأسعار، ووجود الفقر والقحط- متحصلة على مر الأزمان والعصور، ولم يقل أحد بتعطيل شعيرة الأضاحي، لذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، بل الطاعة في الخير والمعروف، وإن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، لقوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} (الحج :32)

الرأي الأوجه (الترجيح):

أرى أن الرأي الأوجه في ظل تحقيق أدلة القولين، وما استند إليه الفريقان إنما هو

إحياء السنة وشعيرة الأضاحي، ولو بأقل الذبح إعمالاً للقولين والرأيين، فمن اغتنى وقَدِرَ على شراء النُسك قام به وإلا فلا، دون تعميم الحكم بلزوم المنع على الناس كافة، ومن المستحسن أن يقوم ثلةٌ من أهل العلم بتقديم النصح للإمام أو الحاكم إذا أراد إلزام الناس بقرار عدم الذبح، وبيان وجهة النظر الشرعية، وأهميتها في إحياء شعائر الإسلام دون الإعابة على رأيه في وسائل الإعلام، فهذا ليس من النصح الرشيد، والرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: "من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه".[1]

الاشتراك في الأضحية:

اتفق الفقهاء على جواز الاشتراك في الأضحية، فتجزئ البقرة عن سبعة، وفي الإبل عن سبعة، بحيث يشترك فيها سبعة أشخاص لكل شخص سُبع، ولا يجوز أن يقل نصيب المضحي الواحد عن سبع الأضحية في البقرةِ والبدنةُ، لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ)[2]، وعنه قال: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُهِلِّينَ بِالْحَجِّ: فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نَشْتَرِكَ فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، كُلُّ سَبْعَةٍ مِنَّا فِي بَدَنَةٍ)[3]، فالاشتراك للواحد بأقل من السبع لا يصح أضحية، ويصح صدقةً.

1. السنة لابن أبي عاصم ابن أبي عاصم - عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد،1/ 522.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الاشتراك في الهدي وإجزاء البقرة والبدنة كل منهما عن سبعة.
3. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الاشتراك في الهدي وإجزاء البقرة والبدنة كل منهما عن سبعة.

أما الضأن والماعز فيجزئ عن شخص واحد، فلا يصح الاشتراك فيها بأكثر من ذلك، وهذا باتفاق الفقهاء.

ويجوز للرجل أن يُشركَ أهل بيته في أجر الأضحية، فيقول: اللهم تقبل هذا النسك عني وعن أهل بيتي، كما أشرك الرسول، صلى الله عليه وسلم، أهل بيته وأمته في الأضحية، فجاء بكبشين أملحين أقرنين، فضحى بواحد عنهُ وعن أهل بيته، وبالثاني عمن لم يضح من أمته.

وبالجملة .... فإن الاشتراك بأضحية الضأن أو المعز يجوز صدقةً، وأما أضحية فيجوز عن طريق إشراك الأجر بين أهل البيت الواحد، وكما يجوز أن يشترك في سهم البقر أو الإبل أكثر من شخص على سبيل الصدقة بخلاف الأضحية؛ فإن سهمهُ هو السبع، فلا يجزئ إلا عن واحد، هذا ما اتفق عليه العلماء ومن خالف فيه، فخلافه شاذٌ غير معتبر. والله تعالى أعلى وأعلم

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم تأخير الحج للمستطيع

السؤال: أنا فتاة عزباء، أبلغ من العمر 28 سنة، ولدي القدرة البدنية والمالية على الحج، ولديّ محرم أبي، فهل آثم على ترك التسجيل للحج؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فالحج ركن من أركان الإسلام، فرضه الله تعالى على المستطيع مرة في العمر، يقول الله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}(آل عمران: 97)، وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الحج واجب على الفور على كل مستطيع، قال ابن قدامة: "من وجب عليه الحج، وأمكنه فعله، وجب عليه على الفور، ولم يجز له تأخيره، وبهذا قال أبو حنيفة، ومالك"[*]، والاستطاعة هي القدرة البدنية والمالية، وتوافر المحرم بالنسبة إلى المرأة.

* المغني: 3 /232.

وعليه؛ فينبغي لكِ المبادرة إلى التسجيل للحج إن كانت لديك الاستطاعة له، ولا تؤجلي ذلك؛ لأن أحوال المسلم تتغير، فلا تستقر على حال واحدة، فقد لا يستطيع مستقبلاً الخروج إلى الحج، وهذا هو الأولى، خروجاً من الخلاف.

2. حكم حج البدل

السؤال: ما حكم حجّ البدل؟

الجواب: الحج فرض على المستطيع؛ للإجماع، ولقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}(آل عمران: 97)، والاستطاعة بدنية، وتتحقق بأن يكون المكلف مستطيعًا للحج ببدنه أو بغيره[1] ، ويشترط في الحج عن الغير، ما يأتي:

1. أن يكون الشخص المراد الحج عنه ميتاً، أو عاجزًا عجزًا دائمًا عن أداء الحج[2]، لما روي أن امرأة من خثعم جاءت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ»[3]

2. أن يكون الذي يريد الحج عن غيره قد حج عن نفسه أولاً، فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قَالَ أَخٌ لِي -أَوْ قَرِيبٌ لِي- قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ»[4].

---

1. البيان في مذهب الإمام الشافعي 4/ 25.
2. المجموع: 7/ 120، المغني: 5/ 66 - 67.
3. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله.
4. سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره، وصححه الألباني.

مع التنبيه إلى ضرورة تحقق الذي يكلف أحدًا بالحج عن غيره من أنه ثقة، وأنه سبق أن حج عن نفسه.

وعليه؛ فيجوز حج البدل عن الميت، وعن المريض مرضًا لا يرجى شفاؤه ضمن الشروط المبينة أعلاه، وأن يحج الموكل بالحج عن واحد في الحجة نفسها.

3. حكم سفر المعتدة من وفاة لأداء فريضة الحج

السؤال: توفي زوجي وأنا الآن في عدة وفاة، وأنوي أداء فريضة الحج هذا العام، راجية بيان الحكم الشرعي في سفري قبل انتهاء عدتي بأيام لأداء حج الفريضة التي لم يسبق لي أن أديتها؟

الجواب: رجّح مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين في قراره رقم: 3/ 84 بتاريخ 30/ 11/ 2010م -بعد أن ناقش المسألة باستفاضة- جواز حج المرأة المعتدة من وفاة، وأنه لا حرج عليها في ذلك ما دام الأمر يتعلق بالضرورة، فالواجب لا يترك إلا لواجب -كما قال الفقهاء- فإذا كانت قد سجلت للحج قبل وفاة زوجها، وحظيت بفرصة الإذن الرسمي لها بأدائه، وتوافرت لديها عناصر الاستطاعة، وكان حجها لأول مرة، وليس تطوعًا، فلا ضير من خروجها للحج قبل انتهاء عدتها؛ لأن حجها لا يتعارض مع المقصد الرئيس من العدة، وهو الإحداد وإظهار الوفاء للزوج، هذا مع توافر إمكانية إكمالها فترة العدة المطلوبة منها بعد أدائها فريضة الحج، وعودتها إلى منزلها من جهة ثانية.

4. حكم ترك طواف الوداع لأهل مكة

السؤال: أنا وزوجتي بقينا مقيميْنِ في مكة بعد أداء مناسك الحج، ولم نقم بأداء طواف الوداع عند الانتهاء من الحج في العام الماضي في شهر مايو حسب ما أُخبرنا أنه لا وداع علينا، ثم سافرنا إلى أمريكا في شهر كانون الأول، فهل حجنا صحيح؟

الجواب: أهل مكة ليس عليهم أن يطوفوا للوداع؛ لأن الطواف وجب توديعاً للبيت، وهذا المعنى لا يوجد في أهل مكة؛ لأنها وطنهم، قال ابن تيمية، رحمه الله: "ولهذا لم يكن على أهل مكة طواف قدوم، ولا طواف وداع؛ لانتفاء معنى ذلك في حقهم، فإنهم ليسوا بقادمين إليها، ولا مودعين لها، ما داموا فيها".[1]

لكن إذا أراد شخص من أهل مكة أن يسافر منها بعد أداء المناسك، فإنه يلزمه طواف الوداع قبل الخروج من مكة، قال النووي، رحمه الله: "قال أصحابنا: من فرغ من مناسكه، وأراد المقام بمكة، ليس عليه طواف الوداع، وهذا لا خلاف فيه، سواء كان من أهلها، أو غريباً، وإن أراد الخروج من مكة إلى وطنه أو غيره طاف للوداع".[2]

وذهب الشافعية والحنابلة إلى أن طواف الوداع يجب على كل من أراد الخروج من مكة مسافة القصر، ولو كان غير حاج أو معتمر، بل لو كان من أهلها بخلاف الأحناف والمالكية، فالأحناف يرون أن طواف الوداع واجب في الحج فقط، والمالكية عندهم مستحب، قال النووي: "هل طواف الوداع من جملة المناسك أم عبادة مستقلة؟ فيه

1. مجموع الفتاوى: 26 /261.
2. المجموع: 8 /254.

خلاف. قال إمام الحرمين والغزالي: هو من المناسك، وليس على الحاج والمعتمر طواف وداع إذا خرج من مكة لخروجه. وقال البغوي والمتولي وغيرهما: ليس طواف الوداع من المناسك، بل هو عبادة مستقلة يؤمر بها كل من أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر، سواء كان مكياً أو أفقياً. وهذا الثاني أصح عند الرافعي وغيره من المحققين تعظيماً للحرم، وتشبيهاً لاقتضاء خروجه الوداع باقتضاء دخوله الإحرام".[1]

وعليه؛ فنميل إلى أن طواف الوداع بالنسبة إلى المقيم في مكة يلزمه إذا أراد السفر منها بعد أداء المناسك، وترك الواجب في الحج يجبر بفدية، وبما أنك وزوجتك أقمتما بعد أداء مناسك الحج في مكة أشهراً عدة ثم سافرتما إلى أمريكا بعد ذلك، فحجكما صحيح إن شاء الله؛ لأنه ليس على المقيمين في مكة طواف وداع، ولكن كان ينبغي لكما قبل خروجكما من مكة وسفركما مسافة القصر أو أكثر أن تطوفا طواف الوداع، لقوله، صلى الله عليه وسلم: «لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»[2]، وبما أن في هذه المسألة قولين للفقهاء، وأكثرهم يرون أن طواف الوداع على المسافر من مكة واجب، فكان ينبغي لكما أن تطوفا للوداع، وبما أنكما لم تفعلا ذلك، فعليكما التوبة والاستغفار احتياطاً للدين، حسب الراجح من أقوال الفقهاء.

1. المجموع للنووي: 8 /186.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض.

5. حكم الحج الذي وقع فيه خلل

السؤال: ذهبت لأداء الحج عام 2018م، وكنت برفقة والدي وكان كبيراً في السن، ويعاني من مشكلة عصبية، فيصرخ ويكفر في أثناء الحج، ولا أعلم ما قمت به من أركان الحج وواجباته، فما حكم حجي في هذه الحالة؟

الجواب: من الواجب على المسلم أن يتفقه في العبادة قبل القيام بها حتى تقع مُجزئة وصحيحة، والجهل في أحكام الحج قد يوقع الحاج في خلل في الأركان أو الواجبات أو السنن، ويتوقف الحكم على الحج الذي وقع فيه خلل من قبل الحاج حسب نوع الخلل.

أحكام العدل في العطية وضوابط رجوع الوالدين فيها

روان الشيخ / باحثة شرعية / دار الإفتاء الفلسطينية

عدّ الإسلام الأسرةَ اللبنةَ الأولى في بناء المجتمع، ولم يقف اهتمامه بها عند حدود الوعظ، بل أحاطها بسياجٍ متين من التشريعات التي تحفظ تماسكها، وتضمن ديمومتها "كحبات العقد" في تناسقها وقوتها. ومن منطلق العدل الإلهي، وزّعت الشريعة الحقوق والواجبات بدقة متناهية؛ فجعلت لكل فردٍ حقاً يقابله واجب، لضمان نشأة جيلٍ سويٍ يخدم دينه وأمته.

تتجلى عظمة هذا المنهج في تقديم حقوق الطفل باعتبارها أولويةً قصوى على عاتق الوالدين؛ فالتربية ليست مجرد توفير للمأكل والمشرب، بل هي صياغة للشخصية، وبناء للروح. وقد برع علماء الأمة في تأصيل هذه النظرة، حيث عدَّ الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن قلب الصبي جوهرة نفيسة ساذجة" قابلة لكل نقش، مما يضع الوالدين أمام مسؤولية تاريخية في اختيار ما يُنقش على تلك القلوب الطاهرة.(*)

وعلى ذات النهج، يؤكد الإمام ابن القيم في "تحفة المودود" أن المساءلة الإلهية يوم القيامة تبدأ بالأب قبل الابن؛ فكما أن للوالد حقاً من البر، فإن للولد حقاً أصيلاً في الرعاية والوقاية من المهالك، مصداقاً لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

* الغزالي، إحياء علوم الدين، 3 /72.

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}(التَّحْرِيم: 6)[1]

فأخطر ما يهدد هذا البنيان هو أن يميِّز الأبوان بعض الأولاد على بعض في الحبّ والدلال والإغضاء عن الزلّات. وأخطر من ذلك أن يُعلنا كرههما للواحد، وحبهما للآخر؛ فتلك هي "بذرة العداء" التي تُزرع بين الإخوة والأخوات.

إن هذه التفرقة في المعاملة لا تلبث أن تثمر بعد رشدهم واستقلالهم بشؤون أنفسهم جفاءً وخصومة، قد ينتهيان إلى القطيعة، أو حتى الجريمة.

لذا، فإن العدل في "العطاء العاطفي" لا يقل أهمية عن العدل في "العطاء المادي"، وهو الضمانة الوحيدة ليبقى العقد متصلاً والود مستمراً.

العطيّة لغة:

العطيّة: اسم لما يعطى، والجمع عطايا وأعطية، وأعطيات جمع الجمع[2]، وَالعطَاء: اسْم لما يعطَى، وَيُقَال: إِنَّه لجزيل العَطاء. وَهُوَ اسْم جَامع. فَإِذا أفرد قيل: العطيّة.[3]

العطية اصطلاحاً:

هي: "تمليك العين للحال من غير عوض".[4]

وقيل هي: "تمليكٌ مُتَمَوَّلٍ بِغَيْرِ عوضٍ إنشاءً".[5]

وقيل هي: "تمليكٌ في الحياة بلا عِوَضٍ"[6]

1. ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص229.
2. ابن منظور، لسان العرب، 15 /69.
3. الهروي، تهذيب اللغة، 3 /65.
4. الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 6 /116.
5. الرصاع، الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، ص418 .
6. البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، 4 /299.

اختلاف العلماء في التفضيل بين الأولاد في العطية:

انقسم العلماء في مسألة التفضيل بين الأولاد في العطية (الهبة) إلى فريقين رئيسين: فريق يرى المنع والتحريم، وفريق يرى الجواز مع الكراهة واستحباب العدل.

أولاً: الفريق المعارض للتفضيل (القائلون بالتحريم):

ذهب الحنابلة والظاهرية إلى عدم جواز تخصيص أحد الأولاد بعطية دون الآخرين، وعدّوا ذلك فعلاً محرماً يجب نقضه، واستدلوا بحديث النعمان بن بشير، الذي قال النبي، صلى الله عليه وسلم، فيه: (لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ)[1]، فسماه جوراً، والجور حرام؛ ولأنّ ذلك يوقع العداوة، وقطيعة الرحم، فمنع منه، كنكاح المرأة على عمتها، فإن فعل فعليه التسوية بأحد أمرين: إما رد عطية الأول، أو إعطاء الآخر مثله، ولأنّ النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمره برده.[2]

واستدلوا بما روي عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، أن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، كان نحلها جاد عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال لها: "وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكِ جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقاً، فَلَوْ كُنْتِ جَدَدْتِيهِ وَاحْتَزْتِيهِ كَانَ لَكِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالُ وَارِثٍ، وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ، فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ".[3]

ثانياً: الفريق المجيز للتفضيل بين الكراهة واستحباب العدل:

ذهب الحنفية[4] إلى استحباب العدل بين الأولاد في العطية، إذ ينبغي للرجل أن

1. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد.
2. ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، 2 /259م.
3. مالك، الموطأ، 4 /1089. مصنف عبد الرزاق، 9 /103، صححه الألباني، انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، 6 /68 .
4. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، 4 /444.

يسوي بين ولده في النِحلة ليستووا في بره، ولا يفضل بعضهم على بعض فتحدث بذلك الوحشة في قلوبهم؛ ولأن في التسوية تأليفاً للنفوس، فكانت هي الأولى والأجدر، واحتجوا بأن في حديث النعمان إشارة إلى هذا العدل، ومع ذلك، فلو نحل الأب بعض أبنائه شيئاً دون الآخرين وقبضه المنحول لنفسه إن كان كبيراً، أو قبضه له أبوه إن كان صغيراً (بإعلامه والإشهاد عليه)، فإن ذلك جائز من طريق الحكم والصحة القضائية؛ كونه تصرفاً في خالص ملكه الذي لا حق لأحد فيه، وفي قوله ﷺ: "أشهد على هذا غيري" دليل على صحة العقد ونفاذه، وإن كان الفعل في ذاته مجانباً للعدل سواء كان المحروم فقيهاً تقياً أو جاهلاً أو فاسقاً. كما قرروا أنه لا بأس بالتفضيل لزيادة فضل في الدين، فيجوز أن يُعطي المتأدبين والمتفقهين دون الفسقة الفجرة، أما إن كانوا سواء فيُكره التفضيل بينهما، لا سيما إن كان بقصد الإضرار بالآخرين، ولا بأس في التفضيل لزيادة فضل في الدين وإن كانوا سواء يكره، أو أن يكون التفضيل بقصد الإضرار بالآخرين.[1]

وذهب المالكية إلى كراهة وهب الوالد ماله جميعه لبعض ولده دون بعض، أو تفضيل بعضهم على بعض في الهبة؛ إذ إن العدل المطلوب هو التسوية بينهم. ومع ذلك، فإن هذا التفضيل إن وقع فإنه يجوز ويُعد نافذاً، فمن الناحية الحكمية يجوز للرجل أن يهب لبعض ولده دون الآخرين، لكن يُكره له أن يخص أحدهم بماله كله إلا إذا كان العطاء يسيراً.[2]

ويرى الشافعية أنه ينبغي للوالد العدل بين أولاده في العطية، فإن حاد عن

1. ابن أبي يحيى، اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، 2 /542. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، 4 /444.
2. ابن جزي، القوانين الفقهية، ص 241. ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، 2 /1004.

التسوية فقد ارتكب مكروهاً وخالف السنة، ومع ذلك تصح هبته وتنفذ. وفي حال وقع التفضيل، فإن الأولى بالوالد أن يتدارك ذلك بإعطاء الآخرين ما يتحقق به العدل، كما يُستحب له الرجوع في عطيته (التي خص بها أحدهم)؛ تلافياً لما قد يفضي إليه التفضيل من قطيعة أو عقوق.

حكم رجوع الوالدين في هبتهما:

تعددت الروايات الواردة في حكم الرجوع في العطية؛ ومن أبرزها حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، الذي جاء بألفاظ مختلفة؛ ففي صحيح البخاري ورد بلفظ (الهبة)، بينما ورد في صحيح مسلم بلفظ (الصدقة) وقد أورده الإمام مسلم في «كتاب الهبات» إشارةً إلى شمول الحكم. كما وردت روايات أخرى في كتب السنن بزيادات وألفاظ متباينة، منها استثناء رجوع الوالد فيما يعطي ولده، وعلى الرغم من هذا التنوع اللفظي، فإن هذه الطرق جميعها تعود في أصلها إلى رواية ابن عباس، رضي الله عنهما، ومن هذه الروايات:

1 - (لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ).[1]

2 - (مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ فَيَأْكُلُهُ).[2]

3 - (وَمَثَلُ الَّذِي يُعْطِي العَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الكَلْبِ أَكَلَ حَتَّى إِذَا شَبِعَ قَاءَ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ).[3]

1. صحيح البخاري، كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابٌ لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَرْجِعَ فِي هِبَتِهِ وَصَدَقَتِهِ.
2. صحيح مسلم، كتاب الهبات، بَابُ تَحْرِيمِ الرُّجُوعِ فِي الصَّدَقَةِ وَالْهِبَةِ بَعْدَ الْقَبْضِ إِلَّا مَا وَهَبَهُ لِوَلَدِهِ وَإِنْ سَفَلَ.
3. سنن الترمذي، كتاب الولاء والهبة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الرُّجُوعِ فِي الهِبَةِ، وصححه الألباني.

ويرى الحنفية[1]، أن الرجوع في الهبة محرم قياساً على حرمة العود في القيء، والمعنى الفقهي في ذلك أن الهبة تُعد "عقد تمليك"، والأصل في عقود التمليك أنها لا تقتضي الرجوع كالبيع تماماً؛ لأن خيار الرجوع يضاد المقصود الأصلي من التمليك، والعقد لا يمكن أن ينعقد موجباً لما يناقضه. وإنما يثبت حق الرجوع استثناءً فيما بين الوالد وولده باعتبار أن الولد كسبٌ لأبيه أو بضعة منه، ما يجعل خروج العطية عن ملك الوالد غير تام حكماً، وهذا المعنى مفقود في علاقة الأجانب. وقد فصل ابن المودود المعاني المانعة من الرجوع في الهبة وحصرها في: المحرمية من القرابة، والزوجية، والمعاوضة على الهبة، وخروج العين من ملك الموهوب له، أو حدوث زيادة وتغيير في ذاتها، وكذلك موت أحد طرفي العقد (الواهب أو الموهوب له)؛ فمتى وُجد أحد هذه الموانع امتنع الرجوع، وإلا جاز للواهب الرجوع فيما وهبه للأجنبي.

بينما يرى المالكية[2] جواز "الاعتصار" في الهبة – وهو حق الواهب في الرجوع فيما وهبه – حيث ذهب الإمام مالك وجمهور علماء المدينة إلى أن للأب الحق في اعتصار ما وهبه لولده، بشرط ألا يكون الابن قد تزوج، أو استحدث ديناً جديداً بناءً على هذه الهبة، أو ترتب على العين الموهوبة حق للغير بالجملة؛ إذ إن هذه العوارض تمنع الرجوع صيانةً لحقوق الآخرين. أما بخصوص الأم، فلها حق اعتصار هبتها لولدها ما دام الأب حياً، مع وجود رواية أخرى عن الإمام مالك تقضي بعدم ثبوت حق الاعتصار لها مطلقاً.

1. السرخسي، المبسوط، 12 /53. ابن مودود، الاختيار لتعليل المختار 3 /51.
2. سحنون، المدونة، 4 /411. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 4 /116.

واستثنى الشافعية[1] **رجوع الآباء والأمهات في الهبات بعد الإقباض تخصيصاً لشرف الولادة،** إذ أوجب لهؤلاء من الحقوق ما لم يوجبه لغيرهم، بينما حرّم الرجوع في الهبات بعد لزومها على من سواهم، حتى شبّه العائد في هبته بالكلب يعود في قيئه؛ زجراً عن العود فيها لما يتضمنه من أذية للمتهب بإزالة ملكه، مع تحمله ضيم منّة الأجانب.

والأصل أن المِلك الثابت بالهبة مِلكٌ لازم، فلا يثبت فيه الرجوع إلا في هبة الوالد لولده خاصة، ومع ثبوت هذا الحق؛ فإنه يُكره للوالد الرجوع إن كان الولد عفيفاً باراً، أما إن كان عاقاً أو يستعين بما أُعطي في معصية، فلينذره الوالد بالرجوع، فإن أصرّ الولد على حاله لم يُكره الرجوع حينئذٍ؛ وذلك لأن الأب لا يُتّهم في رجوعه؛ إذ لا يرجع إلا لضرورة تمسه أو بقصد إصلاح ولده، وربما يكون الصلاح متمحضاً في استرجاع العطية منه؛ فلأجل ذلك جاز له الرجوع.

ويرى الحنابلة[2] **أن للرجل إذا وهب لولده حق الرجوع في هبته؛ استناداً** إلى الخبر الوارد في ذلك، ولأن الأب لا يُتهم في رجوعه؛ إذ الغالب أنه لا يرجع إلا لضرورة تمسه، أو بقصد إصلاح حال الولد، أما الأم ففي حقها في الرجوع احتمالان:

الأول: أنه لا رجوع لها؛ كونها لا ولاية لها على ولدها بخلاف الأب.

الثاني: أن لها حق الرجوع؛ كونها أحد الأبوين، فأشبهت الأب في ذلك.

أما إذا تزوج الولد أو تداين بعد الهبة، ففي ثبوت حق الرجوع للوالد حينئذٍ روايتان.

---

1. روضة الطالبين وعمدة المفتين، 5/387. ابن عبد السلام، قواعد الأحكام، 2 /149. الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، 2 /335.

2. ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد،2 /262.

وفي حال طرأت على الموهوب زيادة منفصلة؛ فقيل: يرجع في أصل الهبة دون الزيادة، وقيل: يرجع بهما معاً.

أما عن أثر هذه الزيادة المنفصلة في منع أصل الرجوع، ففي ذلك روايتان عن الإمام.(*)

خلاصة الأمر: يُعدُّ العدل في العطايا الدعامة الأساسية لحفظ كيان الأسرة من التصدع؛ فهو الضمانة الأكيدة لغرس المحبة وبذر المودة في نفوس الأبناء، ما يقطع دابر التباغض، ويحفزهم على البر السويّ بوالديهم.

أما في مسألة الرجوع في الهبة، فقد استقر النظر الفقهي على استثناء الوالدين من "النهي العام" المغلظ بالتشبيه بالكلب؛ تفعيلاً لولايتهما وحقهما في إصلاح شؤون الأبناء. ومع ثبوت هذا الحق للأب والأم، إلا أن استخدامه يتقيد بضوابط تمنع الإضرار بالغير، كحدوث زواج للابن أو استدانته بناءً على العطية، أو تغير عين الموهوب، صيانةً للاستقرار، وحفظاً للحقوق المترتبة عليها.

* ابن تيمية، المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، 1 /375.

الخيبة ... أسبابها وطرق تجنبها

الشيخ د. أحمد شوباش/مفتي محافظة نابلس/عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

ورد في كتاب الله سبحانه وفي سنة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، استخدام مفردة الخيبة وتصريفاتها، فما معناها في لغة العرب؟ ومن هم أصحابها؟ وما صفاتهم في القرآن والسنة؟ وكيف يمكن تجنبها؟

الخيبة في لغة العرب واصطلاح القرآن:

الخيبة مصدر الفعل خيب أو خاب، فالخاء والياء والباء أصلٌ واحد يدلُّ على عدم فائدةٍ وحِرمانٍ. والأصل قولهم للقِدْحِ الذي لا يُورِي: هو خَيّاب(*) والقدح الذي لا يوري: أي لا يُخرج ناراً، فلا خير فيه.

وخاب الشخص: فشل وخسر، وحرم ومنع ما كان يطلبه، ولم يحصل ما أراد، ولم ينله، وخاب سعيه: لم ينجح في مسعاه، وخيّب الآمال أو الظن: أي أتى بما لا يتوقع

* ابن فارس: أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، 2 /232، مادة خيب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة 1399هـ - 1939م.

منه، ولم يحقق ما كان مأمولاً منه، والأخيب: أكثر الناس خسارة وأعظمهم فشلاً، وضربة خائبة: أي خاطئة غير مصيبة.[1]

والخيبة في مصطلح القرآن: فوت الطلب[2]، وفي الفرق بينها وبين كلمات متشابهات قالوا: إن القنوط أشد مبالغة من اليأس، وأما الخيبة فلا تكون إلا بعد الأمل، لأنها امتناع نيل ما أمل، فأما اليأس فقد يكون قبل الأمل، وقد يكون بعده، والرجاء واليأس نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر، والخائب المنقطع عمّا أمل.[3]

المتصفون بالخيبة في القرآن:

- قال سبحانه وتعالى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} (إبراهيم: 15) فقوله: وَاسْتَفْتَحُوا: قرأ العامة على كونه فعلاً ماضياً، ومعنى الاستفتاح: الاستنصار، وقيل طلب الحكم من الفتاحة.

وقوله: {وَخَابَ} أي هلك وما أفلح، أو هلك، كل جبار عنيد، والجبار الذي لا يرى فوقه أحداً، وقيل: الجبار الذي يجبر الخلق على مراده، والجبار هنا المتكبر على طاعة الله، والعنيد: أصله من العُنود أي الخلاف والتباعد والترك، أو من العَنْد، وهو الجانب والناحية، فهو المعاند للحق، يجانبه أو هو المعرض عن الحق.[4]

---

1. عمر: أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1 /710، مادة خيب، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
2. الأصفهاني: الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، 151، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ
3. العسكري: الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، 245، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر.
4. ابن عادل النعماني: عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، 11 /357، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.

لقد قررت الآية الكريمة أن كل جبار من الجبابرة الظلمة مصيره الهلاك وعدم الفلاح في الدنيا والآخرة.

- وقال تعالى: {قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى} (طه: 61) جاءت هذه الآية في معرض المناظرة والمحاجة بين موسى، عليه الصلاة والسلام، وسحرة فرعون، قبل وقوع المباراة، ومعرفة الصادق من الكاذب، وصاحب المعجزة من الساحر، ثم قال لهم على سبيل التعجب الشديد: {وَيْلَكُمْ} والويل اسم للعذاب والشر، والافتراء: اختلاق الكذب، وهو هنا ما يخيله السحرة للناس من الشعوذة، ويقولون لهم انظروا كيف تحرك الحبل فصار ثعباناً، وغير ذلك من التمويهات والتخيلات على أنها حقائق، أو قولهم: إن موسى كاذب وساحر، فيكون جزاء {فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ} مضارع سحته إذا استأصله أو من أسحته، فضلاً عن أنكم إذا افتريتم الكذب لن تنجحوا.(*)

- كما أن مصير الظلمة الفشل والخسران وعدم نيل المطلوب، كما قال تعالى في السورة نفسها: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} (طه: 111)، أي ظهر العناء في الوجوه عطفاً على ما في الآيات السابقة من ظهور الخضوع في الأصوات: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} (طه: 108)، والعناء: الذلة، وأصله الأسر والعاني: الأسير، سمي كذلك لأن الذلة ترهقه في وجهه، والآية تمثل حال المجرمين يوم القيامة، ويجوز أن تكون الوجوه على العموم، وقد خضعت وجوه الناس جميعاً إجلالاً لله تعالى.

* ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، 16 /249، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.

والحيّ الذي يثبت له وصف الحياة الحقيقية، والقيوم: القائم بتدبير الناس، وقوله: {وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} أي خاب كل من حمل ظلماً وعسر واستمر عناؤه وأما من خاف وعمل صالحاً فله الأمن والفرح.[1]

- وفي الموضع الرابع والأخير، قال سبحانه وتعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (الشمس: 9 - 10)، والمعنى: قد أفلح وفاز من زكى نفسه بطاعة الله، وطهر نفسه من الرذائل والأخلاق الدنيئة، وقد خاب من دسّاها، أي أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركبت المعاصي وترك طاعة الله، ويحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وخاب من دسى الله نفسه[2] أي هلك وخسر، ولم ينجح بمسعاه.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد من دعاء النبي، صلى الله عليه وسلم: (اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، ...)[3]

الناجون من الخيبة وكيفية الخلاص منها:

- لما كانت الخيبة جزاء كل ظالم، ومصير كل مفترٍ جبار، كان أبعد الناس عنها أهل العدل، وفي مقدمتهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فعن جابر بن عبد الله قال: (لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَنَائِمَ هَوَازِنَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجِعْرَانَةِ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ،

1. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16 /312.
2. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 2 /412، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1430هـ، - 1999م.
3. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَقُومُ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، قَالَ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ تَتَسَامَعَ الْأُمَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابًا لَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ الْمِرْمَاةُ مِنَ الرَّمِيَّةِ).[1]

- وفي رواية أخرى لجابر قال: (جِئْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَامَ الْجِعْرَانَةِ، وَهُوَ يَقْسِمُ فِضَّةً فِي ثَوْبِ بِلَالٍ لِلنَّاسِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، لَقَدْ خِبْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ).[2]

- هجر النبي وسنته جزاؤه الخيبة:

روى البخاري عن ابن عباس أنه سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين قال الله فيهما: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} (التحريم: 4)، وفي الحديث: (وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، فَصَخِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، قَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهَا: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكِ مِنْهُنَّ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَنَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ حَفْصَةُ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ:

1. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.
2. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

قَدْ خِبْتِ وَخَسِرْتِ، أَفَتَأْمَنِينَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَهْلِكِي؟ لاَ تَسْتَكْثِرِي النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلاَ تَهْجُرِيهِ، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ....).[1]

ويلحق بهذا هجر سنة النبي، صلى الله عليه وسلم، والتنكر لها، ومعارضتها، وقد دل على ذلك قوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النور: 63)

- العيش على تعاليم الإسلام والتخلي عن الدنيا يبعد عن الخيبة:

يقول سعد، رضي الله عنه: (إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمُرُ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي)[2]

قوله: (الحبلة) شجر له شوك، كالطلح والعوسج، و(السمر) نوع شجر، و(ليضع): كناية عن التغوط، و(تعزرني): تقومني بالتعليم على أحكام الإسلام، و(خبت): من الخيبة، وهي الحرمان والخسران، وقوله:(ضل سعيي) ويروى (وضل عملي)، قيل: كيف جاز لسعد أن يمدح نفسه ومن شأن المؤمن ترك ذلك لورود النهي عنه؟.[3]

- الأذكار بعد الصلوات تحفظ من الخيبة:

عن كعب بن عُجرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ

1. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها.
2. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتخليهم من الدنيا.
3. العيني: محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 23 /60، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً).[1]

وقد سميت معقبات؛ لأنها تفعل مرّة بعد أخرى، وهي تسبيحات تقال بعد الصلوات الخمس.[2]

- الداعي لا يخيَّب رجاؤه ودعاؤه بالخير:

عن سليمان قال: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَسْتَحِي أَنْ يَبْسُطَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ يَسْأَلُهُ خَيْرًا فَيَرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْنِ"[3].

وبعد، فهذه جولة في مفردات الخيبة وتعريفاتها، والله نسأل أن يجنبنا الخيبة والخسران، ويرزقنا الصلاح ونوال المراد، إنه على كل شيء قدير.

1. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.
2. النووي: يحيى بن زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 5 /95، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
3. الشيباني، المسند، أحاديث رجال من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، حديث سليمان الفارسي، قال المحقق: إسناده صحيح، وهذا موقوف، ويروى أيضاً مرفوعاً، 29 /119.

الأسرة في الإسلام

أ. كمال بواطنة

سبحانك ربّنا!

سبحانك ربّنا! نزّهت نفسك، وذكرت سبباً يجعلك أهلاً للتنزيه، فقلت: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} (يس:36).

سبحانك ربّنا! أمرت الناس جميعاً بتقواك، وذكرت سبباً وجيهاً لذلك، فقلت: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء:1).

سبحانك ربّنا! وأنت تعدّد بعضاً من آياتك العظيمة التي تدلّ على قدرتك المطلقة قلت: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الروم:21)، فسبحان من خلق الزوجين الذكر والأنثى، بل خلق من كلّ شيء زوجين اثنين؛ لعلّنا نتذكّر،ونعرف دلائل قدرة الخالق العظيم!

من مقاصد الزواج:

لكلّ شيء في الإسلام مقاصد، ومن مقاصد الزواج الإعفاف؛ فبالزواج يُغضّ البصر، وتُحصن الفروج، ويتحقّق الاستقرار النفسيّ، وبالزواج نَحفظ النسل، ونضمن استمرار الذريّة الصالحة، التي تأتي عن طريق نظيف، لا حرمة فيه، ولا شبهة، وبالزواج تتّسع دائرة التعارف بين الناس، وتأتي قرابات جديدة، وهذا يقوّي العلاقات بينهم، وبالزواج يحقّق الزوج السكن إلى زوجه، وترفرف على الزوجين أجنحة المودّة والرحمة، فيصبح كلّ من الزوجين ودوداً مع الآخر، رحيماً به إن ضعف، أو أصابه سوء. وبالزواج قد تنفتح خزائن الرزق {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (النور: 32)، وكم رأينا أناساً فتح الزواج لهم أبواب رزق !

أساس اختيار الزوجين:

لعلّ من أصعب القرارات قرار اختيار الزوجة من قبل الزوج، وقبول الزوجة للزوج؛ ذلك لما يترتّب على هذا الأمر من نتائج. كثير من الناس يقول: النساء كثيرات، ولكنّه عندما يعقد النيّة على الزواج قد تأخذه الحيرة، ويأخذ وقتاً طويلاً قبل أن يختار، فالمرأة جنّة الزوج أو ناره، وهي إمّا سعادة وهناءة، وإمّا شقاء وتعاسة، ومثل ذلك الزوج لزوجته. قال، صلّى الله عليه وسلّم: (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)(*).

* صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

قدوة الأزواج، صلّى الله عليه وسلّم، وضع لنا الأسباب المعتبرة التي تنكح المرأة من أجلها، فقال: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك)[1]، فالدين أمر طيّب، بل ضروريّ مع كلّ مؤهّل، وإذا غاب الدين لم تبقَ قيمة لمال أو حسب، أو جمال، فالمرأة صاحبة الدين والتقوى هي المأمونة للزواج، ومن المؤسف أنّ بعض الخاطبين يتحكم به قلبه، ويلغي دور عقله، فيشقى في اختياره.

جميل أن تكون المرأة كريمة الأصل، وأن تكون كفؤاً للرجل، وصاحبة عقل، وقناعة، وهذا ما يثبّت أطناب بيت الزوجية.

ومن الصفات التي ينبغي أن تكون في الرجل أن يكون ذا خلق ودين، وفي الهدي النبويّ: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)[2]. والناس إذا رفضوا هذا النموذج (صاحب الخلق والدين) سيدخلون في النموذج الآخر، من الذين يملكون المال، والجمال، ويفتقرون إلى الخلق والدين، فتقع الفتنة والفساد الكبير.

من الخير أن يكون الزوج مالكاً للنفقة، وأن يكون رجلاً، يتحمّل المسؤولية، ويدرك معنى القوامة، والصبر على الزوجة، وعلى مسؤوليات أسرته، ومن المهمّ أن يكون كفؤاً لزوجته، ومن مستوى اجتماعيّ مُتقارب.

1. صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.
2. سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، وحسنه الألباني.

قوامة الرجل:

ربّنا سبحانه خلق الخلق، وهو يعلم ما استودع فيهم من مواهب وقدرات، والرجال منحهم الله القوامة (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) (النساء:34)، وهذه القوامة ليست تجبُّراً واستبداداً، وليست علاقة حاكم بمحكوم، بل هي مسؤولية، وحمل ثقيل يقع على عاتق الرجل؛ ليكون مُوجّهاً، وحامياً، ومُنفقاً، وخادماً للمرأة والأسرة، ولا ينكر أنّ هناك حالات يكون فيها الزوج غير ناضج، ولا يدرك الفهم الصحيح للرجولة والقوامة، وتكون الزوجة أعقل منه في إدارة أمور بيت الزوجية، وهناك زوجات بحكمتهنّ جعلن من أزواجهنّ رجالاً يعتدّ بهم، وهذا يعايشه الناس ويشاهدونه، فيقول: فلانة قلبت كيان فلان، وجعلت من زوجها رجلاً، وأيّ رجل!

وهنا لا بدَّ من التنويه إلى أنّ العلاقة بين الزوجين تقوم على التكامل، وليس على الكمال، فالكمال لله وحده، وتقوم على التعاون على البرّ والتقوى، وهناك أخطاء تقع من الزوجين، تتطلّب صبراً، وأناة، وملاطفة، وعفواً، وصفحاً...، وهناك خلطة سحرية لحياة زوجيّة هانئة، تقوم على المودّة والرحمة والحنان، وعلى الرفق والتعاون والإحسان، وعلى النصح والسَّتر، وأنعم بحياة زوجية يكون هذا شأنها!

الخلافات الزوجيّة:

الناس بطبيعتهم مختلفون في الطباع، وهذا موجود في الأُسر، فقلّ أن تجد زوجين متشابهين تماماً في الطباع، وهذا يتطلّب أن يتنازل كلّ منهما للآخر، ومن الخير أن نعامل الناس كما هم، وليس كما نحبّ أن يكونوا، والذي يريد الناس كما يحبّ أن

يكونوا يَتْعَبُ، ويُتْعِبُ، ولعلّ من محاسن العشرة الطويلة بين الزوجين أنّها تجعل كلاً منهما يتكيّف مع طبع الآخر.

أعجبني ما قالت الأديبة السورية غادة السمّان:"قليل من الشجار ينعش ذاكرة الحبّ. قليل من الشجار ينعش قلب الحبّ"(*)، وقد يؤيّد الواقع مقولتها، فكثيراً ما تجد الشجار القليل يجدّد العلاقة الزوجية، ويبعث فيها حياة جديدة، ولا يُفهم من كلامي أن تكون الشجارات كثيرة ودائمة، ولكنّ قليلها يكسر الروتين، وقد قيل في الأمثال الشعبية: (ما محبّة إلا بعد جفا)، ولو جاءت المحبّة خالصة صافية دون جفاء لكان أفضل.

وقد سمعنا كثيراً ممّن عاشوا الحياة الزوجية السعيدة كيف أنّ الزوجين عند المشاجرة القليلة يذهب كلّ منهما إلى مكان، كأن تذهب المرأة إلى المطبخ، والرجل إلى حديقة المنزل، وسرعان ما يهدآن، وتعود المياه إلى مجاريها، ومن المهمّ أن نتنبّه إلى أنّ ذِكر الجفاء ساعة الصفاء جفاء، والزوج والزوجة ليس من المنطقيّ أن يكثر العتاب بينهما، وما أسرع أن تحلّ الخلافات الزوجية إذا بقيت في البيت، ولم تخرج منه.

وهنا نذكّر بأنّ الأسرار الزوجية خطّ أحمر، ينبغي عدم تجاوزه، ويخطئ بعض الأزواج حين يجعلون حياتهم الزوجية كتاباً مفتوحاً.

لا ضير أن يذكر كلّ من الزوجين محاسن الآخر، فقد كان سيّد الخلق، صلى الله عليه وسلّم، يحبّ زوجه عائشة، رضي الله عنها، وأعلن صراحة أنّها أحبّ أزواجه إليه، وأمّا

* انظر: موقع بوابة الشعراء.

ذكر العيوب فينبغي ألا يقع، والإنسان لا يعرف نوايا الناس، فقد يكون ذكر العيوب سبيلاً لدخول ذوي النفوس المريضة؛ لإفساد العلاقة الزوجية.

بيوت تفتقر للمودة والرحمة:

من المؤسف أنّ كثيراً من البيوت يسودها سكون المقابر، والخرس الزوجيّ، وينظر إلى الزوج على أنّه (بنك)، ليس إلا، ولا توجد مشاعر دافئة، بل إنّ بعض الزوجات ممّن يمتلكن المال من وظيفة وغيرها أصبحن عند الكبر يطلبن الطلاق، أو الخلع، وليت شعري! أين المودّة والرحمة، والعشرة، والتضحية، والقناعة بما أعطى الله، ولا سيما عندما تبدأ بعضهنّ بالمقارنة بين أحوالها وأحوال غيرها؟ وكثير من الزوجات نشزن وفارقن، وكثير من الأزواج نشزوا وفارقوا، وبعد ذلك عضّوا الأصابع ندماً وحسرة، وأدركوا بعد فوات الأوان أنّ ما كانوا يعدّونه جحيماً كان رَوْحاً وريحاناً!

تربية الأبناء:

من أهمّ الثمار المرتجاة من الزواج إنجاب الأولاد: بنين وبنات، وهم بنصّ القرآن الكريم زينة {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} (الكهف: 46)، ومرآهم يبهج النفس، ويبعث الأمل، وهؤلاء الأبناء ينبغي ألا يرخى لهم الحبل على الغارب، فبعض الناس يرخي، وبعضهم يشدّ أكثر ممّا ينبغي، واليوم التربية أصعب من الماضي، فالتقدّم التكنولوجيّ الكبير، وشبكات التواصل كسرت الحواجز، وغدت تؤثّر في الأخلاق والثقافات والسلوك، وهذا يتطلّب وعياً من الآباء، الذين ينبغي لهم أن يتغافلوا ولا يغفلوا، وأن يراقبوا من بعيد، وهناك مواقف تتطلّب يقظة وحزماً.

أولادنا بحاجة منّا إلى أشياء مهمّة لا نتخلّى عنها أبداً، وهي أن نطعمهم من حلال؛ كي يبارك لنا الله فيهم، وأن نستثمر في تعليمهم؛ فالتعليم اليوم أساس من أسس النجاح في الحياة، وأن نعرف أصدقاءهم؛ فالولد أحياناً يثق بصديقه أكثر من ثقته بوالديه، وأن نحرص على أن نعلمهم بالقدوة؛ فعيون الأولاد معلّقة بآبائهم، وهم يرصدون، ويتأثرون، ولا ننسى مسألة المداومة، والأمر يتطلّب صبراً، ومن المهمّ دوماً أن ندعو الله؛ ليصلحهم، وفي صلاحهم خير يعود علينا وعليهم، وفي القرآن الكريم أدعية، لعلّ من أشهرها: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (الفرقان: 74)

وفقنا الله لما يحبّ ويرضى، وحمى أسر المسلمين من التفكك والانحلال والضياع.

الأسبلة العثمانية في القدس في إطار الوقف الإسلامي وسياج الهوية في مواجهة التهويد

د. شفاء عيسى أبو خليل - محاضرة في جامعة القدس - أبو ديس

الحمد لله الذي جعل من الماء أصل الحياة، ومن الإحسان باباً إلى الخلود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"(*)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تستوقف المتأمّلَ في أزقّة مدينة القدس العتيقة ملامحُ حيّة من آثار العطاء الإسلامي، تتمثّل في تلك الأسبلة العثمانية التي ما زالت تروي، بين حجارتها الصامدة، حكاية الوقف والماء والرحمة. هذه الأسبلة ليست مجرد مبانٍ تاريخيةٍ مائلةٍ إلى الزوال، بل هي شاهدٌ على فلسفةٍ حضاريةٍ متكاملةٍ جعلت من العطاء العام ركيزةً للعمران، ومن الوقف سبيلاً لحفظ هوية المدينة وروحها في وجه محاولات التهويد والتبديل.

لقد كان الماء في الرؤية الإسلامية نعمةً مباركةً يتجلّى فيها قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} (الأنبياء: 30). وكانت هذه التوجيهات القرآنية دافعاً للأجيال إلى تبني الوقف والعناية بسقاية الناس، تعبيراً عن مقاصد الشريعة في الرحمة والإحسان وصيانة الحياة.

مفهوم الأسبلة:

تحت ظلال التاريخ الإسلامي، نشأ مفهوم الأسبلة في قلب الحضارة، فكانت

* صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء.

مواضع السقاية من أبرز مظاهر الرحمة والبر والإيثار، فالماء من وجهة نظر الإسلام مفتاح الحياة، وهو عنوان كرامة الإنسانية، وتأسست فلسفة الوقف الإسلامي على مبدأ الخير الدائم، فعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَقْيُ الْمَاءِ»[1]، وجاء أيضاً في الصحيح: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَبْعَةٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ"[2]. هذه الأحكام النبوية كانت هي البنية الروحية والعمرانية التي دفعت المسلمين في كل عصر إلى إنشاء الأسبلة، وتعميمها في ديارهم، فغدت هذه المنشآت عنوان كرامة، وفعل الخير في الأمة، ومحور الوقف الشرعي والاجتماعي في المدن الإسلامية. ومن هنا جاءت الصدقة الجارية في سقي الناس لتكون من أعظم القُرَب إلى الله.

الأسبلة دينياً واجتماعياً:

وتكاد مدن بلاد الشام والقدس خاصة أن ترفل في تاريخها بعبق الأسبلة الشاهدة: فهي التي حملت في قلوبها أسمى معاني التكافل ومقاصد الشريعة، وصارت منصات للبر ومقامات للدعاء والذكر، حيث تربط بين خدمة الخلق، وحفظ الدين، وإحياء السنة النبوية. وقد أضحى تأسيس الأسبلة فعلاً دينياً واجتماعياً؛ تتناقل مقاصده الأجيال فتروي ذاكرة المدينة وسُبلها أن الإسلام لا يحيا إلا في قلب مجتمع متراحم

1. سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء، وحسنه الألباني.
2. شعب الإيمان: 5 /122، وقال الألباني في صحيح الترغيب: حسن لغيره، 959.

ومتضامن، وأن الماء سبيل للهداية والحياة سواء.

وقد كان للمجتمع المقدسي حظ وافر من هذه السُنّة الفاضلة، ففي كل حي وسوق وزاوية نشأت الأسبلة من أموال السلاطين والتجار والوجهاء ونساء المدينة، وسُجلت أسماؤهم في سجلات المحكمة الشرعية، تدليلاً على وقفية الماء وخيرية الفعل والنية. وقد ورد في أوقاف القدس قول الواقفين: "جعلت هذا الماء صدقة جارية ابتغاء وجه الله، وإحياء سنة النبي ﷺ في سقاية العطاش".[1]

ارتباط الأسبلة بالخلافة العثمانية:

تختصّ الأسبلة العثمانية في بيت المقدس برسوخ رمزي وديني لا نظير له، إذ ارتبطت مباشرةً بالحضرة السلطانية والخلافة العثمانية. فقد عمد سلاطين بني عثمان، خاصة السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر، ثم من تلاه وصولاً إلى القرن التاسع عشر، إلى بناء أسبلة فخمة مزدانة بالآيات القرآنية، ومنقوش عليها الأسماء والتواريخ والدعوات، وجعلوها جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية حماية هوية المدينة الإسلامية في وجه التهويد والتدخلات الأجنبية[2]. وقد كان "سبيل باب السلسلة" و"سبيل الكأس" (الذي جدده السلطان سليمان) في قلب القدس من أبرز نماذج الوقف المركزي، فيما ظلت الأسبلة الصغيرة المنتشرة في الحارات المحيطة عنواناً لصمود المجتمعات المحلية وتجارها وعلمائها ونسائها أمام محاولات طمس الهوية.

ترافق مع ظهور الأسبلة نهضة تشريعية وإدارية في إدارة الأوقاف، حيث كانت

1. كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية: مع مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس، المجلد الأول (عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، 1983).
2. محمد هاشم غوشة، القدس في العهد العثماني 1516 - 1917 (عمّان: وزارة الثقافة الأردنية، 2009)، 88 - 90.

المحكمة الشرعية في القدس تسجل المخصصات المالية، وتتابع صيانة الأسبلة، وتفصل في الخلافات بين الواقفين والمتولين، وقد كشفت سجلات القرن التاسع عشر عن عشرات قضايا الوقف والمخصصات التي كان للعلماء دور بارز في تحكيمها وضمان استمرارها على الرغم من ضغوط السياسة والاحتلال[1].

وظائف الأسبلة السياسية والثقافية:

ولم تكن قضية الأسبلة قاصرة على الخدمة العامة أو الخير المجرد، بل جرى توظيفها سياسياً وثقافياً لتكون رديفاً لمواجهة مشاريع التهويد، وتأكيد السيادة الشرعية للوقف الإسلامي. ففي لحظات تاريخية عصيبة، ومع تصاعد المشاريع اليهودية والاستعمارية في القدس، تحولت الأسبلة إلى رمز للرباط والصمود، وأصبح الحفاظ عليها والعناية بها صورة من صور الجهاد السلمي ضد تغيير معالم المدينة المقدسة. فقد برز خطاب الدولة العثمانية في إبراز مقاصد الشريعة من الوقف ومناقب خدمة الماء، وتم التركيز على صيانة النقوش والشهادات الشرعية، وإصدار سجلات رسمية تعزز من حضور الأسبلة في وثائق السيادة الحضرية والدينية.[2]

الدفاع عن حرمة الأوقاف والأسبلة:

وتظهر روايات التراث الإسلامي أن العلماء وأهل الوقف كانوا يتصدون لأي محاولة إلغاء أو تهميش، ويعيدون صياغة شروط الوقف والمخصصات بما يحفظ للأمة حقها في ماء السبيل، وعمران المكان، وديمومة الخير. كما تكشف سجلات المحكمة

1. كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، (عمّان: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، 1981).
2. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 10، القسم الثاني: بيت المقدس (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1974).

الشرعية في القدس عن عشرات القضايا التي نظرها القضاة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16 - 17م) للدفاع عن حرمة الأوقاف المخصصة للأسبلة، وإعادة ترميم القنوات المائية، وضمان استمرار رواتب السقائين الذين كانوا يطوفون بالماء في الأسواق والشوارع لسقاية الناس مجاناً.

إنّ الأسبلة في القدس ليست مجرد حجر أو منشأة تقنية، بل هي ضمير المدينة، وصوت المجتمع، وتاريخ أجيالٍ تناقلت معاني البر والصدقة عبر سجلات المحكمة الشرعية وكتابات الرحّالة والمؤرخين. فقد واجهت قضية الأسبلة تحديات استعمارية واحتلالية متكررة، منها محاولات التدخل في إدارة الوقف، أو تقليص مخصصاته، وقد كانت ممانعة المجتمع المقدسي وقيادته الدينية هي الصخرة التي تحطمت عليها هذه المحاولات.

الأسبلة عنوان للحرية والهوية:

ومن مظاهر كرامة الأسبلة عبر التاريخ أن التجار والعلماء ونساء القدس تفننوا في تزيين واجهاتها، وتخصيص موارد لها تضمن استمرارها أبد الدهر، مدركين أن ماء السبيل هو عنوان الحرية والهوية في وجه التحديات. وتحفل كتب الوقف وسجلات الشرع بمعاني السخاء في هذه المدينة، وتنسج حول الأسبلة قصص البر والمقاومة وحماية الذاكرة الجماعية للمكان من الضياع.

وقد تجلى التكامل بين السياسة الدينية والإدارية في حماية الأسبلة بعقلية شرعية واعية، إذ ارتبطت المواقف السياسية في المدينة بالحفاظ على المظاهر الدينية والمعمارية للوقف، وتشكلت بذلك معادلة دفاع صلبة؛ حيث أصبح وقف الماء حصناً

للهوية، ودرعاً للكرامة، في وجه محاولات التهويد المتكررة.

وخلاصة القول إنّ تجارب القدس قد أثبتت أن الأسبلة العثمانية تمثل أكثر من بناء عمراني؛ إنّها إشراقة الوقف، وذاكرة الأمة، ودرع منيع يحفظ للمدينة وجهها الإسلامي مهما تعاقبت عليها رياح التهديد والطمس. وفي كل ركن من أركان مدينة القدس، يصخب صوت الماء القادم من تاريخ طويل من البر والإحسان الذي أحياه السلاطين والعلماء والواقفون.

وفي زمن تتجدد فيه المحن، يلزم أهل القدس وأهل الفكر الشرعي أن يستعيدوا أسس الوقف ويحموا مقاصده، وأن يقرأوا في سطور التاريخ كيف نقشت الأسبلة صورة الإنسان المسلم الذي يجمع بين الطهارة والسخاء والجهاد السلمي دفاعاً عن الهوية والكرامة.

إن إشراقة الماء في سُبل القدس تظل اليوم برهاناً حياً على قوة الوقف الإسلامي وحيوية المجتمع وعمق الذكرى، تؤكّد بالتاريخ والنص الشرعي والمصدر التراثي أن الأسبلة هي سياج للهوية، وموقف حضاري أصيل، في مواجهة محاولات التهويد والتغيير كلها.

في الذكرى (78) على النكبة

قرية "راس أبو عمار"

المنكوبة والمهجرة

أ. يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

المقدمة

الحمد لله ناصر المستضعفين، قاهر الظالمين المجرمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سّيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ، وعلى من استنَّ بسنته الى يوم الدين، وبعد؛

فبمناسبة مرور (78) سنة على النكبة رأيت أن أكتب عن إحدى قرى القدس المنكوبة والمدمّرة سنة 1948م، وهي قرية "راس أبو عمّار"، وما توفيقي إلا بالله سبحانه وتعالى .

أصل التسمية:

سمّيت قرية "راس أبو عمّار" بهذا الاسم نسبة إلى مقام الشيخ أبو عمّار المقام في القرية، ويقال إنّه مقام قديم لهذا الرجل الوليّ الصّالح من أولياء الله الصالحين، سكن المنطقة قبل أكثر من (350) سنة، وأخذ الناس يسكنون حول مقامه تيمّناً به وببركاته، وكان الناس في القرية يهتمّون بمقامات أولياء الله الصالحين، وأهمها مقام الشيخ أبو عمّار، والشيخ مرزوق، والشيخ غريب، والشيخ محمود.

ويعود أصل قرية "راس أبو عمار" إلى خربة بيت سكّايا، وهي قرية صغيرة (خربة)

قريبة جداً على قرية "راس أبو عمّار"، ويقول الحاج محمد مصطفى عمارنة (78) سنة من راس أبو عمار: إن أصل التسمية يتعلّق بالماء، حيث قرية بيت سكّايا منخفضة، وفيها الماء، وكان موقع قبر أبو عمار على رأس الجبل، ويبعد عن بيت سكّايا حوالي (200) متر، وموقع القبر يُقال له رأس العقبة أي قمتها، ومن ثمَّ أطلقوا عليها راس أبو عمار تيمّناً بالولي الصالح أبو عمار[1].

الموقع والمساحة:

تقع القرية إلى الغرب من مدينة القدس، مع انحراف قليل نحو الجنوب، وتبعد عنها (14) كم، وترتفع عن سطح البحر (700) متر، وتقع القرية على سرج جبلي بين جبل الشيخ مرزوق، وجبل أبو عدس، ويحيط بها وادي الصرار من ثلاث جهات، وتبعد القرية حوالي كيلو متر واحد عن خط سكة الحديد بين القدس ويافا. وبلغت مساحة أراضيها (8342) دونماً، حسب خريطة فلسطين عام 1945م. وبيوت القرية مبنيّة بالحجارة والشيد، ومنها ما هو مبني بالطين والشّيد، وسمك جدران البيوت تقريبا (100) سم، ما يجعلها معتدلة الحرارة في الصيف، ودافئة في الشتاء. وعندما هجّر أهالي القرية، وحسبما قال الحاج داود فرج، وهو من سكان القرية، وعمره (88) سنة، كان عدد البيوت فيها (106) بيتاً، وقال: في القرية بيوت تسمى (العلّية) فيكون البيت مكون من طابقين، ومبنياً بطريقة هندسية جميلة، ومن العلّيات في القرية: علّيّة عبد الله حسن عمارنة، وعلّيّة يوسف أبو عليا، وعلّيّة مصطفى أبو بكر، وعلّيّة محمد معدّي [2].

1. مقابلة تمت في تاريخ 25 /9 /2025م مع الحاج محمد مصطفى عمارنة (78) سنة.
2. مقابلة تمت في تاريخ 19 /09 /2025م مع الحاج داود علي فرج (88) سنة.

القرية مبنية على مرتفع صغير، ووادٍ منفرج منبسط، وشكلها مستطيل، ويحدها من الشمال قرية عقور، ومن الشمال الغربي دير الشيخ، ومن الجنوب الغربي علّار، ومن الجنوب وادي فوكين، ومن الجنوب الشرقي القبو، ومن الشمال الشرقي الولجة [1]، ولجمال هذه القرية أقيمت على جبالها غابات القدس، واتخذت وديانها مسارات للمتنزهين.

السكان والعشائر والعائلات:

بلغ عدد سكان قرية "راس أبو عمار" حسب إحصاء سنة 1922م (339) نسمة[2] وبلغ عددهم سنة (1931م) (488) نسمة، وفي سنة 1945م (620) نسمة، وسنة النكبة 1948م (719) نسمة، وهو عدد من هُجّروا عن القرية بالإرهاب وقوّة السّلاح. وسنة 1998م بلغ عدد سكان القرية (4379) لاجئاً حسب المسّجلين في وكالة الغوث الدولية[3] وحسب تقديرات أهالي القرية، يبلغ عددهم في الوقت الحالي حوالي (10,000) لاجئ، وبالنسبة إلى تركيبة الحمائل والعائلات في القرية، فإنها تتألّف من ثلاث حمائل رئيسة، وهي: مروّة، والقراقرة، والعمارنة.

وخضعت حركة سكان القرية وتنقلهم كغيرها من قرى فلسطين إلى عوامل مختلفة، منها: النزاعات التي تحصل أحياناً بين العائلات والحمائل، وخاصة التي ينجم عنها أحيانا حمل الدم، والعوامل الاجتماعية، والاقتصادية، والوظائف إذ يضطر الموظف أن يترك قريته، ويسكن في القرية التي سيعمل فيها، ثمّ يتزوّج من أهلها، وبالتالي يصبح من سكانها، وتندرج تحت الحمائل الثلاث الرئيسة العائلات الآتية:

1. عباس نمر، لن ننسى قرى القدس المهجرة والمدمرة، ص65.
2. حسين روحي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص88.
3. عباس نمر، لن ننسى قرى القدس المهجرة والمدمرة، ص65.

- حمولة مروّة: وعائلاتها - أبو عكر، والشاويش، وأبو عليا، وعوض الله، و فرج، وسعيفان، وحميدان، وعليان (أبو عودة).

- حمولة القراقرة: وعائلاتها - عيّاد، ومعدّي ، وراضي، وملش، والبداونة، وكنعان، وأبو حميدة، وأبو سالم.

- حمولة العمارنة: وعائلاتها - خليل، وحرز الله، وعلّان.

وكانت العلاقات بين الناس في القرية متينة وقوية، يتعاونون مع بعضهم بعضاً في الأمور كلها، في الأفراح والأتراح، وكان سكان القرية من دون استثناء يشاركون في حفلات الزواج من دون دعوة، ويفرحون مع أهل العروسين، ويؤدون واجبهم على أكمل وجه، ويزفون العريس الرجل على فرس، والعروس المرأة على الجمل، ويطوفون بهما داخل القرية بطريقة مهيبة، ويغنون الأغاني والأهازيج الشعبية من الفولكور الفلسطيني، والتي يغنيها أهل القرية وسائر القرى الفلسطينية الأخرى في الأعراس، ومن الأغاني التي تغنّى في الأعراس والزّفّة :

عريسنا شيخ الشباب شيخ الشباب عريسنا

عـريسنا ضمة ورد ضـمة ورد عـريسـنا

عـريسنا عنتر عبس عـنتر عبـس عريسنا

صلوا على محمد مكحول العين وزين الزين واللي يعادينا الله والنبي عليه

بـسـم الله نـاديـنـا وعلـى الـنـبـي صـلـيـنـا

أول مـا نـبـدأ ونـقـول نصلى على طه الرسول

يـا صـلاتـك يا محمـد يـا خـزاتـك يـا إبـلـيـس

يـا سباع البر حومي اشـربـي ولا تـعـومـي

محمد زين وذكره زين محمد يا كـحـيـل الـعـيـن

يا عريسنا يا أبو حطة مـن ويـن صايـد هالبطة

يا عريسنا يا أبو عقال مـن وين صايد هالغزال(*)

وكان الناس يطبخون المنسف الفلسطيني، والجريشة، والمفتول في المناسبات سواء أكانت أفراحاً أم أتراحاً، ومن طبخات البلد بالإضافة إلى المنسف: المجدرة، والمسخّن، و الخبيزة، والعِلِك، والعكّوب.

كان يدير شؤون القرية مختاران، يقومان بتسجيل المواليد، ومتابعة قضايا الأراضي والأملاك، والأمور التي تخص القرية، وفترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي قبل النكبة كان المختاران هما: راشد أبو عليا، ويوسف علي عيّاد.

التعليم في القرية:

لم يكن حظ القرية في مجال التعليم بأحسن من حظ غيرها من القرى الفلسطينية، حيث كان التعليم في نهاية العهد العثماني قد شهد تراجعاً ملموسا من حيث عدد المدارس، ونوعية التعليم ، وانتشار الفساد المالي والإداري بشكل عام في دور العلم ، وكان رجال الدين هم المرجعية التعليمية للبلاد، وبلغت نسبة الأمية في فلسطين في نهاية العهد العثماني 89 %، وفي زمن الاحتلال البريطاني (1917م - 1948م)، اتّصف التعليم بالقصور من نواحٍ عدّة، أهمها: التنظيم ، والمبالغ والميزانيات المخصّصة له، والمناهج المتبعة، وعدد المدارس والطلاب، وبلغت النسبة المئوية للأولاد العرب الذين في سن التعليم، وحرموا منه في 1 /7 /1944م حوالي 67.5 % بينما كانت

* مقابلة تمت في 06 /10 /2025م مع محمد طه أبو عليا (61) سنة محافظ بيت لحم.

هذه النسبة تقارب الصفر لدى اليهود الذين كانوا مستقلّين استقلالاً تامّا في تعليم أولادهم[1].

كان التعليم في قرية "راس أبو عمار" يتم في بيت شيخ القرية، وفي المسجد، وفي دار علي يونس، ودار خليل ملش، وفي بعض بيوت القرية، حيث يتم استئجار غرفة زائدة عن حاجة عائلة من العائلات تتم الدراسة فيها، ولم تكن في القرية مدرسة قبل النكبة (1948م) كما قال الحاج داود فرج، فكانت المدرسة قيد الإنشاء، وتم الانتهاء من بنائها قبيل التهجير بأيّام، ولم تتم الدراسة فيها، وحديثا تمّ هدم المدرسة، ويقول الحاج داود: كان الشيخ طه أبو حميدة يدرسنا القرآن الكريم، والذي يحفظ جزء (عمّ) أو يختم تلاوة القرآن كان أهل القرية يزفّونه على الفرس، انطلاقاً من المسجد إلى عين المزراب، احتفاءً وتقديراً له، ومن الذين درسوا في القرية وأنهوا مستوى الصف الرابع: داوود فرج، وطه أبو عليا، وغيرهما[2].

الزراعة في القرية:

تحدث إليّ في مقابلتي له محمد طه أبو عليا محافظ بيت لحم نقلاً عن المرحوم والده طه أبو عليا، وهو أحد المتعلمين والمثقفين جداً من القرية: " تُعدّ الزراعة الشريان الرئيس للقرية، فهي من موارد الرزق المهمّة جدًّا في حياة الناس، فمعظم أهل القرية يعملون في الزراعة، وأهم ما يميز القرية في هذا المجال هو شجرة الليمون الحلو، وهذا الشجر نادر جدًّا في العالم، فهو موجود تقريباً في فلسطين فقط، وبالتحديد في قرية "راس أبو عمار"، حتى في يافا أم الحمضيات غير موجود

1. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، https://info wafa.ps.
2. مقابلة مع الحاج داود علي فرج (88) سنة، تمت المقابلة 19 /09 /2025م.

فيها هذا النوع من الليمون.

أهم مزروعات القرية:

إضافة إلى الليمون الحلو، عنيت قرية "رأس أبو عمار" بزراعة":

1 - الحبوب: وأهمها القمح والشعير والذرة، والعدس، والحمص، والكرسنّة والفول.

2 - الأشجار: كانت مساحة الأرض المزروعة في "رأس أبو عمار" بالأشجار قليلة، وأهم الأشجار المثمرة : العنب، والإجاص، والزيتون، والتين، والصبر، واللوزيات. ومن الأشجار غير المثمرة البلوط فقط.

3 - الخضار: أهمها الكوسا، والباذنجان، والقرع، واليقطين، والخيار ، والفقوس، والبامية.

تعتمد الزراعة على مياه الأمطار، ومياه العيون التي تنساب، وتتجمع في البرك، ثمّ توزع على الأراضي الزراعية لري بساتين الخضار والفواكه.

أما الثروة الحيوانية، فكان الاهتمام بها محدوداً، وربّى أهل القرية الضّأن، والماعز، والأبقار، والدواجن، والقليل منهم اهتم بتربية النحل(*).

الخرب والعيون:

دمر الصهاينة المحتلون القرية بعد احتلالها، وتهجير أهلها في21 /10 /1948م، وأقاموا على موقعها سنة 1960م مستعمرة (تسور هداسا) من جهة الجنوب، وتوجد في القرية الخرب الآتية: خربة أبو عدس، وخربة الشيخ أحمد، وخربة الشيخ مسافر، وخربة الشيخ مرزوق، وبالنسبة إلى العيون كان أهل القرية يعتمدون على الينابيع والعيون لتأمين مياه الشرب والرّي، واشتهرت "راس أبو عمار" بكثرة العيون فيها،

* مقابلة مع محمد طه أبو عليا (61) سنة محافظ بيت لحم، تمت المقابلة في 06 /10 /2025م.

والتي من أهمها: عين الوحش، وذبيان، والشرقية، والعصفورة، والسّكّر، وحوبين، والمطينة وهي أكثر العيون التي تستخدم للزراعة، والمزراب التي كانت تسقي كل حلالِ القرية ومواشيها القرية، وعين خربة أبو عدس[1].

احتلال القرية:

تؤكّد الروايات الشفهية وغير الشفهية أن سكان قرى فلسطين ومدنها لم يرحلوا ولم يتركوا قراهم برضاهم سنة 1948م في النكبة، على الرغم من القصف العشوائي الممنهج، وهدم البيوت، وقتل الناس العزل وكان الاحتلال البريطاني منذ سنة 1917م قد عمل على تهيئة الأجواء والظروف لذلك، وكان هذا الهدف يتطلّب العمل على دعم اليهود دعماً مطلقاً، وتدريبهم، وتسليحهم، وحمايتهم، وخنق الفلسطينيين، وحصارهم، وهدم منازلهم، وإعدامهم بالجملة. ومرت على القرية ظروف صعبة جداً كسائر قرى فلسطين، طيلة فترة الاحتلال البريطاني حتى النكبة، وقاوم أهالي القرية الاحتلال الإنجليزي والعصابات الصهيونية التي كانت تعمل على إرهاب الناس، وقتلهم، ودفعهم وإرغامهم على الهجرة، وقدّموا الشهداء، منهم الشهيد: محمد حسين فرج، والشهيد العبد عبد الله عياد والشهيد أحمد محمد خليل العمارنة، الملقب بـ(أحمد سهمود) (1968م). وشارك العديد من شباب القرية في معركة القسطل (8 /4 /1948م) منهم: عبد الله علي علان، وعليان يوسف علان[2].

وجدت بريطانيا والصهاينة أن أمر فلسطين كان بيد أهلها، وظلّ الأعداء في يأس من الوصول إلى ما وصلوا إليه، وما سقطت القرى والمدن بيد الصهاينة بما فيها قرية

1. مقابلة مع الشيخ عبد المجيد عطا العمارنة (67) سنة، مفتي بيت لحم، تمت المقابلة في 08/10/2025م.
2. مقابلة تمت في عمان في 9 /2 /2026م مع البروفيسور د. علي عبد الله علان (57) سنة.

"راس أبو عمار" إلا بعد دسائس وقعت.

كما قال الشاعر ابن مدينة يافا محمود سليم الحوت (1916 - 1989م) في قصيدته (يافا) وتساؤله عن حالها وحال مدن فلسطين وقراها التي احتلت سنة 1948م، وكيف بيّن في قصيدته حجم المؤامرة والمشاركين فيها ضد فلسطين وشعبها، وكيفية تسليمها للصهاينة:

كـيف الشقيقات؟ وا شوقي لها مدناً كـأنها قطع مـن جنة الخلد

ما حالها اليوم يا يافا ؟ وهل نعمت من بعد أن أسلمت يداً بيدِ ؟

ووقعت القرية في قبضة لواء هرئيل بلماح التّابع للعصابات الصهيونية، وذلك في سياق عملية ههار، ويشير المؤرّخ الصهيوني بني موريس إلى أن القرية احتّلت في 21 /10 /1948م جرّاء هجوم عسكري مباشر عليها(*).

أهالي "راس أبو عمار" اليوم:

استقر المقام بأهالي القرية المهجّرين عن قريتهم، مشتتين لاجئين في أصقاع الأرض، ومعظمهم يقيمون في مخيمات الدهيشة وعايدة والعزة والجلزون وشعفاط والفوار، وفي مخيمات الأردن، ولأهل "راس أبو عمار" في الدهيشة حارة تسمى باسمهم (حارة الراسية) الواقعة في الجنوب الشرقي من المخيم، وهي زاخرة بالحركة والفكر والثقافة والمحبة والتعاون، كذلك يوجد في مدينة معان بالأردن (218) كم جنوب العاصمة عمان مقبرة لأهل القرية معروفة باسمهم (مقبرة الراسية) حسب ما قال لنا الحاج محمد مصطفى عمارنة، كذلك ذكر لنا أن هناك عائلات كثيرة من القرية

* رأس أبو عمار https://ar.wikipedia.org/، أمكن الرجوع إليه في 12 /10 /2025م .

في الأرجنتين والبرازيل، وأكثر تواجد لهم في مدينة صويلح بالأردن (14) كم شمال غرب العاصمة عمّان، كذلك في الأشرفية، ورأس العين بالأردن(*).

لم يبق من الذين هجروا عن القرية عام 1948م إلّا القليل على قيد الحياة، حيث يتابعهم الحاج داوود والحاج محمد عمارنة جيدًا، ويقدر عدد من تبقوا على قيد الحياة منهم حوالي (40) شخصاً من (719) عدد المهجّرين، ولكن عدد أبنائهم وأحفادهم يزيد على (10,000) شخص تصبو وتهفو قلوبهم إلى قريتهم الحبيبة، وهم على موعد قريب بالعودة إليها، إن شاء الله تعالى، وقدم أهالي القرية عددًا من الشهداء في الانتفاضتين الأولى سنة (1987) والثانية سنة (2000م) وهم: الشهيد محمد نعيم أبو عكر (22 /10 /1990م) والشهيد عبد الله خالد العمارنة (7 /11 /2000م) والشهيد عيسى زكري فرج (8 /3 /2002م) والشهيد علي محمد فرج (10 /4 /2002م).

والكثيرون من أهل القرية تميزوا بعلمهم، وعملهم، وأدوارهم الفاعلة في الحياة الفلسطينية والعالمية، وفي رفع شأن قريتهم ووطنهم، ويشغلون مناصب مهمة في الوطن والخارج، وأهم هؤلاء المبرزين المبدعين :

- د. علي عبدالله علان، دكتوراة في التفسير وعلوم القرآن، ومحاضر في جامعات أردنية عدة، وشغل كثيراً من المناصب الفنية والإدارية في الجامعات والمعاهد والمؤسسات الأردنية، منها : مقرر لجنة تطوير الخطط الدراسية لتخصص الدعوة وأصول الدين لطلبة البكالوريوس والماجستير والدكتوراة، ومقرر اللجنة الدينية للوعظ والإرشاد والإمامة في وزارة الأوقاف الأردنية، وعضو رابطة علماء الأردن، وعضو الجمعية

* مقابلة تمت في 25 /09 /2025م مع الحاج محمد مصطفى عمارنة (78) سنة.

السعودية للقرآن الكريم، وشارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية الدولية، وله العشرات من الأبحاث والكتب في التفسير وعلوم القرآن، والدعوة وأصول الدين .

- السيدة غادة يحيى حرز الله: المديرة الوطنية لمنظمة قرية الأطفال في فلسطين، وتعرف بقيادتها الحكيمة وجهودها المتواصلة في خدمة الأطفال ورعايتهم، وتمّ تكريمها من جهات عديدة، أهمها: وزارة العمل الفلسطينية كأفضل جهة شريكة ومتعاونة لعام 2025م ، وتشارك في مؤتمرات دولية كثيرة تتعلّق بالطفولة ورعايتها.

- اللواء ماجد علي فرج: مدير المخابرات العامة الفلسطينية، سياسي مخضرم ومحنّك، عين رئيساً لجهاز المخابرات العامة الفلسطينية سنة (2009م)، استشهد والده عام (2002م) وهو من عائلة لاجئة مناضلة، صابرة قدمت الكثير للوطن والشعب، وتوفي أخوه أمجد بعد أن أصيب بمرض عضال، وهو في ريعان شبابه، وكان قد أمضى أكثر من ست سنوات في سجون الاحتلال، وأصيب بالمرض وهو في السجون من التعذيب الشديد، وقضى اللواء ماجد أكثر من سبع سنوات في سجون الاحتلال، وكان أحد قيادات الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

- محمد طه أبو عليا: محافظ محافظة بيت لحم، وعضو المجلس الثوري لحركة فتح منذ سنة 2009م حتى الآن، شارك في مؤتمرات عديدة في الوطن وخارجه في مجالات التخطيط الاستراتيجي، وإدارة الأزمات، وحل الصراع، وأسر في المعتقلات الصهيونية أربع سنوات.

- الشيخ عبد المجيد العمارنة: مفتي محافظة بيت لحم، عمل إماماً وخطيباً في مساجد عدة في الأردن وفلسطين، وإماماً في المسجد الأقصى عام 1985م، ويقدّم

برامج دينية في بعض المحطات الإذاعية والتلفزيونية في فلسطين، وأسس جمعية الرباط الخيرية في مخيم الدهيشة، ويتابعها ويشرف عليها، وعضو في لجنة زكاة المخيم، وعضو اللجنة الشعبية للخدمات، وشارك في دورات عديدة في الصحافة والإعلام، والإسعاف الأولي، ويجيد إلى جانب اللغة العربية اللغتين العبرية والانجليزية بشكل جيد.

- الشاعر الكبير سميح يوسف فرج: أستاذ وشاعر عريق معروف بشاعر المخيم والمقاومة يكتب الشعر بلغة جماهيرية تنبض بالغضب والعنفوان، وناشط في الساحة الثقافية الفلسطينية، له العديد من الدواوين الشعرية، منها: عبأني موج البحر وقال (1981م) والمخيم أنشودة الإعصار (1985م) والمقنّع (1991م) واحتفال (1997م) وشتاء (1997م) والآن تماماً (2006م) ويفتش أيضاً عن جرعة ماء (2014م) وتقفل يدها ثانية (2024م) ورواية ساقية (2020م). ويعد فرج صاحب الحضور الشعري الشعوري الثقافي النضالي، ومن أشهر مقولاته: "ابتسامة طفل أقوى من حاملات الطائرات" ومقولة " إذا جفَّ الماء، فاضرب يدك بالصخر" ومقولة "افتح للريح صدرك واختزنها، فقد تحتاجها في لحظة انكسار أو عطش".

وفي القرية كثير من المبدعين والمتميزين مثل: السيد حمدي عودة رجل الأعمال المعروف على مستوى محافظة بيت لحم، والأستاذ سامي مروة، شغل منصب مدير التربية والتعليم في المحافظة، ورئيساً لبلدية الدوحة، والدكتور المرحوم خالد كنعان المحاضر الجامعي والمتميز في بحوثه في مجال تخصص الكيمياء، والدكتور المرحوم سعيد عياد مدير عام قسم تحرير الأخبار في هيئة الإذاعة والتلفزيون

الفلسطيني، ورئيس قسم اللغة العربية والإعلام في جامعة بيت لحم، ورجل الأعمال محمود عياد رئيس مجلس إدارة مستشفى اليمامة في بيت لحم، وعمر إبراهيم حرز الله بروفيسور في الرياضيات في الجامعة الهاشمية، وعبد الرحمن طه علان قاضٍ شرعي في الإمارات، ومثل الإمارات في مناسبات دينية في الدول العربية والإسلامية، ورمزي سعيفان بروفيسور في هندسة الحاسوب في الجامعة الأردنية، وآخرون لا مجال لذكرهم.

الخاتمة:

لقد أردت من هذا المقال البحثي أن يساهم في حفظ الهوية والتاريخ والتراث الفلسطيني من الاندثار والضياع، وللتأكيد أنه جزء من الموروث التاريخي والتراثي والديمغرافي، لتبقى القرى والمدن في فلسطين المحتلة حاضرة ومنارة للأجيال الفلسطينية المتعاقبة في فلسطين والعالم أجمع، ولأبناء تلك القرى الذين جرى طردهم وتدمير قراهم في نكبة سنة 1948م، ونقض الرواية الصهيونية الكاذبة المزورة، وكذلك لتوثيق التاريخ المكتوب والشفهي لهذه القرى وسكانها، خاصة أنه لم يتبقَّ على قيد الحياة من الذين هجّروا، ومن مواليد قبل 1948م إلّا القليل القليل، وأخيراً نقول: لا بدَّ أن يتحققّ أمر الله سبحانه وتعالى، وتعود حركة التاريخ لمجراها الطبيعي، ويعود الحقّ لأصحابه، ولا بدَّ أن العودة لأراضينا وقرانا ومدننا قريبة جدًّا- إن شاء الله تعالى-، على أساس أن الأرض حق تاريخي لا يقبل القسمة.

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

ذكر السعادة في القرآن

السعادة لم ترد في القرآن إلا مرتين؛

{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} (هود: 105)

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا}(هود: 108)

الأولى بينت زمن السعادة، وهو يوم القيامة

والثانية بينت مكان السعادة، وهو الجنة

فلا جدوى من البحث عن شيء في غير مكانه،

ولا جدوى من انتظار شيء في غير أوانه.

عِبر

قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (يوسف: 111)

* إذا أُلقيت آمالك في بئر يوسف، فلا تيأس من رحمة الله، وانتظر مجيء القافلة!

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ}(يوسف: 19)

* سنينك العجاف بحاجة لنظرة حكيمة؛ {فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ}(يوسف: 47)

* أحلامك البعيدة بحاجة إلى يقين؛ {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}(يوسف: 83)

* همومك وملامحك المنهكة المفضوحة استرها بـ {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (يوسف: 86)

مهما كاد الناس لك، فلن ينالوا منك إلا ما كتبه الله عليك؛ {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (يوسف: 21)

ثق بالله

ناداه نوح منكسراً: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ} (القمر: 10)

وناداه زكريا مثقلاً بالسن: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} (مريم: 4)

وناداه يونس معتذراً {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنبياء: 87)

الأنبياء جميعهم دعوا الله دون تردد؛ لأنهم كانوا يعلمون قدرة من يدعون، وقدر من يسألون، وخزائن الله التي لا تنفذ، فأعطاهم الله ضعفَ ما تمنوا.

فـثق بالذي لو تمنيت أن يتفتت الجبل، لجعله خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ جديد لك..

ثق في الذي سيضُمّ فؤادك بالجبر ضمًا، يتعجب منه أهل السماواتِ والأرض الذي أخرجك من بين الصلب والترائب، سيخرجك من بين الكرب والمصائب فقط ثق بالله وتوكل عليه، واجمع ضعفك، وفقرك، وذنوبك، ووجعك، وحاجتك، واطرحها بين يديه، وتذلل بها لديه، فالافتقار إليه أوسع أبواب الدخول عليه.

قال تعالى: {قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} (مريم: 21)

ما تراه صعباً هو على الله يسير، وما تراه كبيراً هو عند الله صغير، وما تراه مستحيلاً هو على الله هيّن، فقط عليك أن تقرع بابه، وهو سيصلح بحكمته حياتك، سيطفِئ بلطفه قلقك، ويجبر برحمته كسرك، ويقوّي بعزّته ضعفك.

التقرب إلى الله

في هذه الحياة أقوى العلاقة هي العلاقة بالله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة: 54) تقترب شبرًا فيقترب ذراعًا، تقترب ذراعًا فيقترب باعًا، تأتيه مشيًا فيأتيك هرولة، تستغفره فيغفر لك ولا يبالي، تسأله مضطرًا فلا تخيب، تسأله جهلًا ما يضرك، فلا يجيبك لنفسك رحمة بك، ويهبك ما هو أحسن!

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام

ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

المفتي العام يشارك في المؤتمر السادس والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة

القاهرة: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، وخطيب المسجد الأقصى المبارك- في أعمال المؤتمر السادس والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعنوان "المهن في الإسلام: أخلاقياتها، وأثرها، ومستقبلها في عصر الذكاء الاصطناعي" الذي عقد في القاهرة، بدعوة من معالي د. أسامة الأزهري/ وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وقدم سماحته للمؤتمر بحثاً بعنوان: "المهن والحِرف في تاريخ المسلمين: من الإبـداع الـفـردي إلى بناء الحضارة"، بيّن فيه أن العمل الحِرفي في الحضارة الإسلامية

أحد أهمّ مكونات بناء صرحها، إذ تداخلت فيه الأبعاد الاقتصادية والثقافية والعلمية والدينية في منظومة واحدة من الإتقان والإبداع، وأنها لعبت الدور المحوري في بناء الحضارة الإسلامية، من حيث تكوينها للوعي العملي، وإسهامها في البنية الاقتصادية والاجتماعية والجمالية للأمة.

وقد ترأس سماحته جلستين من جلسات المؤتمر، أعرب فيهما عن امتنانه لمواقف مصر الداعمة والثابتة تجاه القضية الفلسطينية، مؤكدًا على أن مصر دائمًا كانت وما زالت درعًا حصينًا يحول دون تنفيذ مخططات التهجير والتصفية التي تستهدف الشعب الفلسطيني، وما زالت تقف مع الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية بكل ما أوتيت من قوة في المجالات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، مشيداً بهذا المؤتمر والقائمين عليه والمشاركين فيه.

والتقى سماحته على هامش المؤتمر معالي الدكتور أسامة الأزهري/ وزير الأوقاف المصري، وأطلعه على الأوضاع التي يعيشها أهل القدس والديار الفلسطينية في الظروف الراهنة، وأشاد سماحته بالعلاقات الوطيدة بين الشعبين الفلسطيني والمصري، وما تقدمه جمهورية مصر الشقيقة رئيساً وحكومة وشعباً من دعم لصمود شعبنا، وقدم له درع دار الإفتاء الفلسطينية.

كما التقى سماحته الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، والعديد من الشخصيات الرسمية والشعبية المشاركة في أعماله، وأطلعهم على الأوضاع الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني ومقدساته، داعياً الأمتين العربية والإسلامية إلى القيام بواجبهما تجاه القضية الفلسطينية، وحماية المقدسات، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، وإلى ضرورة وضع حد لمعاناة الشعب الفلسطيني.

المفتي العام يستقبل المدير المكلف بتسيير وكالة بيت مال القدس الشريف

رام الله: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، معالي الدكتور محمد سالم الشرقاوي المدير المكلف بتسيير أعمال وكالة بيت مال القدس الشريف، حيث استمع سماحته لإنجازات الوكالة في فلسطين ونشاطاتها لحماية مدينة القدس والدفاع عنها ودعم صمود أهلها والمنافحين عنها، بالإضافة إلى الحملات المزمع تنفيذها من الوكالة في فلسطين في الأشهر القادمة.

من جهته ثمن سماحته جهود الوكالة والمملكة المغربية التي تخدم صمود المقدسيين خاصة، والفلسطينيين عامة، وأطلعه على الأوضاع التي يمر بها الشعب الفلسطيني ومقدساته، خاصة في الظروف الراهنة.

وأشاد سماحته بالعلاقات الوطيدة بين الشعبين الفلسطيني والمغربي، وما تقدمه المملكة المغربية ملكاً وحكومةً وشعباً من دعم لصمود الشعب الفلسطيني، مؤكداً أنها كانت وما زالت سنداً قوياً للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية، بكل ما أوتيت من قوة في المجالات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية.

وفي نهاية اللقاء قدم سماحته لمعالي الدكتور الشرقاوي درع دار الإفتاء الفلسطينية، بالإضافة إلى مجموعة من إصداراتها، شكراً وامتناناً لجهوده الطيبة المباركة في خدمة القضية الفلسطينية.

المفتي العام يترأس الجلستين الرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين بعد المائتين لمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- رئيس مجلس الإفتاء الأعلى الجلستين الرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين بعد المائتين لمجلس الإفتاء الأعلى، حيث حذر المجلس من سماح سلطات الاحتلال للمستوطنين المتطرفين من إدخال أوراق الصلاة التوراتية اليهودية خلال اقتحامهم للمسجد الأقصى المبارك في محاولة للمس بقدسية المسجد، وتغيير الواقع القائم منذ احتلاله عام 1967،

ويأتي هذا التصعيد في الوقت الذي تشدد فيه سلطات الاحتلال من إجراءاتها ضد المسجد الأقصى المبارك ورواده في محاولة لإفراغه والسيطرة عليه، كما أدان المجلس الممارسات والانتهاكات التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد المسجد الإبراهيمي في الخليل في ظل صمت عربي وإسلامي دولي مريب.

وانتقد المجلس قرارات سلطات الاحتلال الخاصة بتعميق محاولات ضم الضفة الغربية من خلال التضييق، ومصادرة الأراضي، وهدم البيوت، وعربدة المستوطنين المتطرفين ضد السكان الأبرياء، بحماية من سلطات الاحتلال، مؤكداً على أن الشعب الفلسطيني سوف يبقى صامداً في أرضه مهما بلغت التضحيات.

وقد ناقش المجلس العديد من القرارات الشرعية بحضور أصحاب الفضيلة وأعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة.

مفتي محافظة أريحا والأغوار يعزي بالشهيد "السروكي" وشارك في نشاطات أخرى

أريحا والأغوار: أدى فضيلة الشيخ حمزة ذويب – مفتي محافظة أريحا والأغوار- واجب

العزاء بالشهيد سعيد الشيخ "السروكي" حيث ألقى كلمة عن أجر الشهادة والثبات على هذه الأرض المقدسة، وزار جامعة فلسطين الأهلية، والتقى الحاج داود الزير رئيس مجلس الأمناء، وزار جامعة القدس المفتوحة فرع أريحا والأغـوار، والتقى مدير الفرع الدكتور يونس جعفر، وبحث معه سبل التعاون المشترك.

القائم بأعمال مفتي محافظة طولكرم يلتقي مدير أوقافها ويشارك في نشاطات أخرى

طولكرم: التقى فضيلة الشيخ الدكتور يونس ياسين – القائم بأعمال مفتي محافظة طولكرم- بالشيخ إبراهيم واصف، مدير أوقاف المحافظة، وبحث معه سبل التعاون المشترك.

وألقى فضيلته درساً دينياً في مسجد عثمان بن عفان" "المسجد الجديد" بعنوان: الصيام وأثـره في تهذيب

السلوك" وكان فضيلته قد استقبل الدكتور خليل خضر – عميد كلية الدعوة في محافظة قلقيلية، وبحث معه أهمية العمل المشترك بين الدار والكلية.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ورشات وندوات ونشاطات عدة

نابلس: شارك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس- في ورشة بعنوان: "تنهيدة حرية" في مركز الطفل نظمها نادي الأسير الفلسطيني، بهدف الاطلاع على أوضاع الأسرى من خلال كتاب "تنهيدة حرية" بهدف الاعتناء بقضايا الأسرى، وشارك في ورشة بعنوان: "لجنة الوساطة المجتمعية" نظمتها اللجنة الشعبية لخدمات مخيم بلاطة، بهدف تعزيز السلم الأهلي والإصلاح المجتمعي، وشارك في ندوة "المخدرات وآثارها السيئة على المجتمع" في مقر مضافة (تل) نظمتها مديرية العمل النسائي بالتعاون مع دار الإفتاء الفلسطينية، بهدف بيان الحكم الشرعي في المخدرات، وشارك في اجتماع كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية مع لجنة إعداد برنامج الماجستير في القضاء والإفتاء، وكذلك في اجتماع اللجنة التحضيرية لمؤتمر كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية حول استخدامات الذكاء الاصطناعي في العلوم الإسلامية، وشارك في افتتاح مركز الابتكار التكنولوجي في جامعة القدس المفتوحة، وفي وقفة تضامنية مع الشهداء

والأسرى على دوار الشهداء وفي احتفالية (ديارنا) لتكريم بعض المعلمين في مدرج جامعة القدس المفتوحة.

مفتي محافظة جنين يشارك في ورشات عمل ونشاطات عدة

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب – مفتي محافظة جنين- في ورشة عمل حول "تطوير المجتمع المحلي" تحدث فيها عن دعم المواطن في الثبات والمحافظة على خاصة المناطق القريبة من جدار الفصل العنصري خاصة، مبيناً أهمية المؤسسات لدعم الفئات المحتاجة، وشارك في ورشة أخرى بعنوان: "تطوير المؤسسات والجمعيات الخيرية والأهلية وطرق دعمها" عقدت بدعوة من بلدية مرج بن عامر بالشراكة مع مؤسسة معا، بين فيها أهمية التعاون والتشابك، واستقبل المنتسبين في الفرع الاجتماعي للأجهزة الأمنية الفلسطينية.

مسابقة العدد 183

السؤال الأول: من .... ؟

1. النبي الذي التقمه الحوت
2. المستثنى من دخول الجنة من المسلمين
3. الصحابي الذي قال عن الحجر الأسود: "إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع"
4. صاحب كتاب: "تحفة المودود"
5. القائل: "قليل من الشجار ينعش ذاكرة الحب"
6. الشهيد الملقب بـ(أحمد سمهود)
7. المديرة الوطنية الحالية لمنظمة قرية الأطفال في فلسطين
8. الذي ينسب إليه في سورة القمر، قول: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ}
9. وزير الأوقاف المصري الحالي
10. السلطان العثماني الذي جدد "سبيل الكنائس" في المسجد الأقصى المبارك

السؤال الثاني: ما...؟

1. معنى: "العج" في "أفضل الحج العج والثج"
2. اليوم الذي قيل فيه: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عبداً من النار"
3. الجزاء الأكبر للحج المبرور
4. حكم الأضحية عند أبي حنيفة
5. حكم تفضيل الوالد بعض ولده على بعض في الهبة
6. معنى: "العاني"
7. القرية الفلسطينية التي اشتهرت بزراعة: "الليمون الحلو"
8. اسم الوكالة المكلف بتسيير أعمالها حالياً د. محمد سالم الشرقاوي
9. الجهة التي نظمت في نابلس ورشة عنوانها: "تنهيدة حرية"
10. ملخص رأي مجلس الإفتاء بشأن سفر المعتدة من وفاة لأداء حج الفرض الذي سجلت له قبل وفاة زوجها

السؤال الثالث: نعم أو لا...؟

1. يرى الكشمري أن الحاج يبدأ إحرامه الفعلي بـ: "لبيك اللهم لبيك"
2. يرى الغزالي أن النفس الإنسانية تحمل في طياتها قابلية مزدوجة للخير والشر
3. مقام المراقبة الذي أطلق عليه ابن تيمية هذا الاسم هو أساس كل سلوك أخلاقي سليم
4. يصح الاشتراك للواحد بسبع البقرة في الهدي الواجب
5. يجب عند جمهور العلماء الحج على التراخي
6. يجوز للابن الذي لم يحج أن يحج عن والده المتوفى أولاً ثم عن نفسه
7. طواف الوداع عند الشافعية والحنابلة يجب على كل من أراد الخروج من مكة مسافة القصر
8. للوالد حق الرجوع في هبته لابنه عند الحنابلة
9. القنوط أقل مبالغة من اليأس
10. "الحُبلَة" في: "وما لنا طعام إلا من ورق الحُبلَة" شجر دون شوك

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة
قيمتها الكلية 1500 شيكل
موزعة على ستة فائزين
بالتساوي

ملحوظات :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- إرفاق صورة الهوية الشخصية مع إجابات مسابقات المجلة للضرورة.
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد **183**
مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف - ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 181

السؤال الأول: من ...؟

1. داود
2. رجال العلم (العلماء)
3. الشيخ محمد حسين
4. ابن القيم
5. عمر بن عبد العزيز
6. المؤمن
7. أبو طلحة
8. **القائل:**

أ. الرسول، صلى الله عليه وسلم

ب. أبو فراس الحمداني

ت. إخوة يوسف

السؤال الثاني: ما ..؟

1. نهر ببابه يغتسل منه كل يوم خمساً
2. التي تنفق على الأهل
3. المنع
4. التمائل/ والتقابض في مجلس العقد
5. تبوك
6. الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
7. الهم يأتي من أمر متوقع مرتقب/ الغم يكون في أمر قائم حاضر
8. مسجد قباء

السؤال الثالث: نعم أم لا ...؟

1. لا
2. لا
3. نعم
4. نعم
5. لا
6. نعم
7. لا
8. نعم
9. نعم
10. لا

الفائزون في مسابقة العدد 181

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
محمد محمود ناصر	رام الله	250
أحمد فرح روبين سمحان	قلقيلية	250
عايشة محمد أبو الهوى	ضواحي القدس	250
إنعام محمد نصر أبو فرح	طولكرم	250
موسى أحمد هماش	بيت لحم	250
ميسر عبد المجيد رفيق القاسم	طولكرم	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps